الفصل الثاني

الإيجابيات

«من السهل أن نُخدع جميعًا بالحجة التي عفا عليها الزمن، والتي تقول: إن الطالب الموهوب (العبقري) قد يتقدم من دون كثير من التدريس. والحقيقة هي أن الموهوب والذكي هما اللذان يحتاجان اهتمامًا أكبر من الحرفي الماهر».

دابليو. فرانكلين جونز
W. Franklin Jones
مؤلف تربوي أمريكي

عندما كان سانتياغو غونزاليس- سانتي- طفلًا ، انتقل والداه من المكسيك إلى ولاية كولورادو. إن من طبيعة أولياء الأمور أن يعتقدا أن طفلهما ذكي، لكن والدي سانتياغو كانا يملكان دليلًا إيجابيًّا على ذلك؛ فعندما كان عمره ثمانية عشر شهرًا، حفظ الأحرف الهجائية، واستطاع العدَّ حتى (20) بثلاث لغات وعمره سنتان. بحث والداه عن مدرسة تمكِّنه من استكشاف اهتماماته، فسجَّلاه في مدرسة المونتيسوري التحضيرية التي كانت خيارًا موفقًا؛ حيث أطلقت معلمته العنان له للعمل في الكسور بالصخور والمعادن، وعندما انتقل إلى مرحلة الروضة كان سانتي يبحث في نظرية الانفجار الكبير عن نشأة الكون، وسارت الأمور على ما يرام حتى الصف الأول عندما طلبت إليه معلمته حل واجبات في الرياضيات والقراءة؛ كانت الواجبات سهلة، فشعر سانتي بالإحباط. وبعدما أظهر الفحص أنه يمتلك معامل ذكاء عاليًا ، قبلته مدرسة محلية في الصف الرابع وعمره 7 سنوات،

Digitized by Google

وسارت الأمور على ما يرام لمدة ثلاث سنوات، حتى تدخَّل الحظ السيئ عندما تجاهل معلِّمه طموحاته العقلية كلها، وطلب إليه إكمال واجبات سبق له وأن أتقنها قبل سنوات، وكما قال سانتي: «كان هذا المعلم مثل المكنسة الكهربائية السيئة الشفط - عديم الفائدة». (Schultz & Delisle, 2012, p. 123).

وبعد أن أحبطت والدة سانتي نتيجة عجزها عن إيجاد مكان ملائم له، أخذته إلى كلية أراباهو (Arapahoe Community College) حيث قُبِل في سن العاشرة، نتيجة لما أحرزه من درجات في اختبار الدخول، واليوم يدرس سانتي طوال الوقت بوصفه طالبًا في جامعة كولورادو للتعدين، متخصصًا في علوم الحاسوب والرياضة، وينهي دراسته بالحصول على شهادة مزدوجة في سن السادسة عشرة.

المكنسة الكهربائية سيئة الشفط

في مجال تعليم الطفل الموهوب تبدو كل قصة وكأنها مثل قصة سانتي؛ فبدلًا من تلقِّي التدريس المتكافئ مع قدراته، كان على والديه أن يخوضا صراعًا مستمرًّا المرة تلو الأخرى، ومع معلِّم بعد آخر؛ للتأكد من احترام قدرته. ومثلما يبدأ جبل الجليد بالانهيار تلقائيًّا عبر منحدر، بإيقاع عضوي لا توقفه العقبات التي تجابهه، فإن الذكاء يحتاج إلى الحرية نفسها. لكن العقبات- مع ذلك- تتراكم مرة بعد مرة، عندما لا تُلبَّى احتياجات الأطفال الموهوبين.

هذا الفصل مخصص للإيجابيات في تعليم الطفل الموهوب؛ الأشخاص، والبرامج والأفكار العظيمة التي تعطي أملًا للأطفال الموهوبين بأنهم سوف يتعلمون شيئًا جديدًا بسبب المدرسة وليس رغمًا عنها، لكن قد يكون من السذاجة أو الخطأ أن نتجاهل التناقضات الواضحة التي قد توجد حتى داخل أفضل الخطط الموضوعة؛ ففي كثير من الحالات قد ينهار برنامج رائع للطلاب الموهوبين عندما تأتي إدارة جديدة حاملة معها توجهًا جديدًا، فتلغي ممارسة ناجحة تسمح بوضع الأطفال الموهوبين في فصول تحدد بحسب إمكاناتهم، وليس بحسب أعمارهم، عندما يعلن مسؤول جاهل بأن مثل هذا التسريع يسبب أذىً اجتماعيًّا وعاطفيًّا للأطفال، أو يلغي برنامجًا جامعيًّا لطلاب مرحلة الثانوية الموهوبين،

Digitized by Google

عندما يسبب الخوف من تحمل المسؤولية عن الطلاب القُصَّر في الحرم الجامعي توترًا كبيرًا عند المحامين في الجامعة. إن من الصعب بناء قوة زخم والحفاظ عليها عندما يجري التعامل مع برامج تعليم الطفل الموهوب كما لو أنها بدع ترفيهية أكثر منها خدمات أساسية؛ ففي كل مرة يسمح فيها المُربِّي أو المحامي أو السياسي لعدم المنطق أو التعصب أن يقود قرار تعليم الطفل الموهوب بطريقة صحيحة أم لا، تصبح أمريكا- سواء رضينا أم رفضنا- أكثر غباء.

«الطفل الموهوب يحتاج إلى وقت؛ وقت ليكون طفلا موهوبًا، ووقت ليكون طفلا. هذه الأوقات قد تتشابك، وربما تكون أيضًا مختلفة. يحتاج الطفل الموهوب إلى فرص ليتعلم، ليستكشف وينقب ويتوسع طلبًا للمعرفة. يحتاج الطفل الموهوب إلى وقت ليحلم ويتساءل ويتأمل الاختلافات في الحياة والعناصر الوجودية لعالمنا. يحتاج الطفل الموهوب إلى وقت ليلعب، وينمو، ويؤذي ويستمتع. الأطفال الموهوبون يحتاجون إلى الدعم العاطفي من بالغين مهتمين وأقرباء يحبون ما هم عليه، ويساعدونهم على أن يجدوا هذه الأوقات ليطوروا ذواتهم بوصفهم أفرادًا موهوبين».

إد أميند، عالم نفسي مجاز، ليكسنجتون، ولاية كتناكي.

ومع ذلك، توجد أشياء أخرى تجعلنا نتفاءل؛ فهناك أفراد خارج مجال تعليم الطفل الموهوب يدعون إلى خدمة الشباب ذوي القدرات العالية؛ مثلا، تناول تشستر فين وجيسيكا هوكيت (Chester Finn & Jessica Hockett, 2012) في كتابهما مدارس الامتحان Exam Schools، في (165) مدرسة ثانوية عامة تغطي احتياجات الأطفال الموهوبين، وكتب فين مقالًا في صحيفة نيويورك تايمز بعنوان (الصغار الموهوبون والمهْمَلُون)، جاء فيه: «يجب أن يكون في أمريكا ألف مدرسة أو أكثر للطلاب الموهوبين، وليس (165) مدرسة عليا فقط، وكذلك المدارس الابتدائية والمتوسطة التي تركز اهتمامها في إعداد طلاب المستقبل». بالإضافة إلى ذلك، فقد وضعت منظمة الشراكة لمهارات القرن الواحد والعشرين (The Partnership for 21st Century Skills)، التي تمولها جهات عديدة، مثل (أبل)، (فورد موتورز)، أنظمة سيسكو وجمعية التربية الوطنية، لدمج الراءات الثلاثة

Digitized by Google

القديمة (three R's) لمحتوى المنهاج مع الأربعة سي (4C's) الجديدة التي يحتاجها طلاب القرن الواحد والعشرين:

- التفكير الناقد وحل المشكلات (Critical Thinking and Problem Solving).
- التواصل (Communication).
- التعاون (Collaboration).
- الإبداع والابتكار (Creativity and Innovation).

هذه المهارات المترافقة مع محتوى غني مخصص للوعي العالمي والمعرفة المدنية والاقتصادية والبيئية، تدمج الأهداف العامة للمربِّين مع أهداف الطلاب الموهوبين ومعلميهم.

ودعت منظمات أخرى أيضًا للتركيز على المتعلمين الموهوبين، مثل الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين (NAGC) وجمعية التعليم للمستوى المتوسط التي كانت تُعرف باسم جمعية المدرسة المتوسطة الوطنية (The National Middle School Association). ومع أن هاتين المنظمتين لم تكونا على توافق دائمًا في وجهات النظر عند تعريف الأطفال الموهوبين وخدمتهم، إلا أنهما أصدرتا بيانًا مشتركًا في عام 2005م أيدتا فيه -من بين أشياء أخرى - فكرة أن تكون عند كل معلمي المدرسة المتوسطة «معرفة كافية وفهم حيال احتياجات المتعلمين الموهوبين». (ص 2) وأن يقدِّم معلمو المدرسة المتوسطة كلهم «منهجًا وتدريسًا وفرصًا أخرى لتلبية احتياجات الطلاب ذوي القدرات العالية» (ص 3-2).

ومما لا شك فيه أن هذا الاهتمام باحتياجات الأطفال الموهوبين عن طريق المنظمات التي لها مصالح خاصة في طلاب كثيرين - ليس فقط الموهوبين - يُعدُّ خطوة إيجابية إلى الأمام، ومع ذلك وإلى أن يحين الوقت الذي يكون فيه المعلمون والسياسيون وأساطين السياسة مستعدين للاستثمار في رأس المال البشري والمادي لضمان عدم تجاهل الأطفال الموهوبين في عملية الإصلاح، فإن الأزمة في تعليم الأطفال الموهوبين في أمريكا ستظل حقيقية ومتفاقمة فعلًا. إن إعداد بيان موقف مكتوب بطريقة جيدة شيء وضمان تنفيذه في آلاف المدارس المتوسطة شيء آخر. وفي كثير من الحالات، تعدُّ مدارس أمريكا المتوسطة

Digitized by Google

(منطقة ميتة) في برامج الموهوبين، حيث إن برامج الموهوبين المبتدئين (إذا كانت موجودة أصلًا) قد انتهت، بينما لم تبدأ بعد دروس الشرف والمساقات التعليمية المتقدمة في المدارس الثانوية العليا.

دعونا نناقش بعض البرامج والأبحاث والأفكار التي قد ترشدنا في رحلتنا.

من أُمة في خطر إلى أُمة مخدوعة

مهما كانت قناعاتك السياسية، إلا أن قليلين قد يقولون إن إدارة الرئيس رونالد ريجان سجلت نقطة إيجابية في تمويل تعليم الموهوبين؛ ففي أثناء مدة رئاسته أُغلق مكتب الموهوبين ((Office of Gifted and Talented (OGT)، ونُقل مديره إلى وظيفة أخرى، وتقلصت الميزانية الصغيرة المخصصة له التي زادت ببطء حتى وصلت إلى (7.5) مليون دولار منذ بدئه في عام 1975م، ثم تراجعت إلى صفر في عام 1981م.

كانت هذه سنوات عجافًا فعلًا بالنسبة إلى المدافعين عن الأطفال الموهوبين.

ومن المفارقة أن يُقر وزير التعليم تيريل بيل في السنة نفسها (1981م) تقريرًا حظي باهتمام عالمي؛ فقد أُنيطت باللجنة الوطنية للتميز في التعليم- برئاسة بيربوينت جاردنر- مهمة تحديد المشكلات الخاصة بالتعليم الأمريكي، واقتراح حلول ممكنة لهذه المشكلات.

كانت تشكيلة أعضاء اللجنة مبهرة، حيث ضمت رؤساء جامعات ومعلمين ومديري مدارس ومديري شركات متعددة الجنسيات، وأعضاء مجالس مدارس، وحكام ولايات سابقين، وحتى الدكتور جلين سيبرج الحاصل على جائزة نوبل.

وعلى مدى شهور عدة، اجتمع أعضاء اللجنة ثماني مرات، وعقدوا ستة منتديات عامة في مناطق مختلفة حول النقط التي تمثل محور الاهتمام، من بينها اجتماع عقد في جامعة هارفارد ركز على الطلاب الموهوبين. وأدلى أكثر من (75) شخصًا (من بينهم كاتبنا الذي كان في ذلك الوقت طالبًا يعدُّ لشهادة الدكتوراه) بآرائهم، وشملت قائمة المتحدثين

Digitized by Google

شخصيات مرموقة في مجال تربية الموهوبين في ذلك الوقت؛ جوزيف رينزولي، جون فلدهوزن، دوروثي سيسك، جوليان ستانلي، وجيمس جالاجير...، والعديد غيرهم.

أصدرت اللجنة تقريرها (أمة في خطر A Nation at Risk)[1] في شهر أبريل من عام 1983م، وبداية من التعليق الاستهلالي للتقرير، وما بعده، تمَّ انتقاد التعليم الأمريكي على أنه مفرط في التبسيط ودون المعايير. ولا يوجد بيان يلخص خطورة المشكلة أفضل من ذلك البيان،وهذا جزء من مقدمة التقرير:

> «ما لم يكن ممكنًا تخيله قبل جيل مضى بدأ يحدث الآن؛ الأمم الأخرى أخذت تتجاوز إنجازاتنا التعليمية.. ولو أن قوة أجنبية غير صديقة حاولت أن تفرض على أمريكا الأداء التعليمي المتوسط الجودة الذي يوجد اليوم، فلربما نظرنا إلى ذلك على أنه عمل من أعمال من الحرب!». (ص 9)

والذي سبب رد الفعل القوي هذا من أعضاء اللجنة هو إحصائيات، مثل هذه:

- أكثر من نصف الطلاب الموهوبين لا تتوافق قدراتهم المثبتة مع أدائهم المدرسي.
- أكثر من (40%) من طلاب المدرسة الثانوية لم يستطيعوا الخروج باستدلالات من مادة مكتوبة.
- أغلب طلاب المدرسة الثانوية كانوا يتقنون (80%) من محتوى كتبهم المدرسية قبل فتحها في بداية العام الدراسي.
- لم تكن الولايات المتحدة في المكانة الأولى أو الثانية في أي معيار من (19) معيارًا أكاديميًّا مقارنة مع الدول الأخرى.
- مناهج المدرسة – في معظمها – تركز على الحفظ واكتساب المهارات المنخفضة المستوى، لا على حل المشكلات والتحليل.

---

(1) تقرير أعدته اللجنة الوطنية للتميز التربوي في العام 1983م، أظهر أن النظام التعليمي الأمريكي فشل في تلبية حاجة البلاد إلى القوى العاملة بسبب تدني التحصيل الأكاديمي، ما يهدد قدرة الولايات المتحدة التنافسية على مستوى العالم.

Digitized by Google

- تدريب المعلمين يعاني عِوَزًا، بخاصة في الرياضيات والعلوم واللغات الأجنبية، وكذلك في البرامج التي تركز على طرق التدريس للطلاب الموهوبين.

بإعلانها أن التعليم الأميركي كان «تيارًا عارمًا من الضحالة»، لم تتردد اللجنة في التحذير من أن المناهج والمواد الدراسية في معظم المدارس كانت فضفاضة وضحلة، وانتهت إلى نتيجة مفادها أن هذا المنهاج باهت لا يسمح بنبوغ كثير من الطلاب.

لقد ذكَّرتنا هذه النتائج وغيرها مما خرجت به اللجنة بما جاء في تقرير مارلاند منذ عقد سابق (وهي الآن لا تقارن بالنقد الموجه اليوم للتعليم الأمريكي)، ومع ذلك فعندما نُشر تقرير (أمة في خطر) ونتائجه المشؤومة، حدث رد فعل زلزالي.

فالعنوان وحده أعطى هذا التقرير هالة من الجاذبية، فبعيدًا عن كونه نشرة حكومية يقرؤها أو يهتم بها عدد قليل، كان هذا التقرير محورًا لحلقات النقاش في كل من الإعلام المطبوع والإلكتروني، حتى الإعلامي المعروف والتر كرونكايت تحدث عنه في نشرة أخبار المساء! الرئيس رونالد ريجان تحدث عن هذا التقرير باهتمام في خطاب تلو آخر، واصفًا التعليم (على الأقل نظريًّا) بأنه أولوية أمريكا الاقتصادية الأولى (Cavanaugh, 2004).

(كم هو أمر يثير السخرية بالنسبة إلى رئيس لم يهتم كثيرًا بوزارة التعليم في أمريكا، لدرجة أنه حاول- دون نجاح- أن يلغي هذه الوزارة في أثناء إدارته!).

وهكذا ومع هذا الاهتمام واسع الانتشار الذي أعطى زخمًا كبيرًا لكثير من الجوانب في نظام أمريكا التعليمي، بما في ذلك كيف يقلل من قيمة الطلاب الموهوبين، ربما تفترض أن أطنانًا من البرامج الجديدة والأموال ستتوافر لتعليم أكثر أطفالنا قدرات، للأسف أن هذا لم يحدث بهذه الطريقة.

لقد بدت المشكلة الأساسية أن السياسيين وعامة الجمهور ركزوا كثيرًا على سلبيات التقرير، لدرجة أنهم لم يقضوا وقتًا في التفكير في حلول ممكنة، وفي تعليق على (أمة في خطر) بعد ذلك بعقدين، اعتقد المربي جون جودلاد (John Goodlad, 2003) أن التقرير فيه كثير من الدخان، لكن لا يوجد فيه لهب، وأقر بأن عدم تركيزه على التعليم من الروضة

Digitized by Google

- الصف الثامن (ركز تقرير (أمة في خطر) بالكامل تقريبًا على المدرسة العليا)، وحكم عليه بالموت منذ البداية، وبالمثل تجاهل ديفيد بيرلاينر وبروس بيدل (David Berliner& Bruce Biddle,1995) نتائج التقرير، وادعيا أن أزمة التعليم الأمريكية (كارثة مصنعة)؛ أي إنها ليست أكثر من هجوم بدافع سياسي على مدارس أمريكا العامة، وبعد 25 سنة وفي استرجاع لمعايير (أمة في خطر)، أقرَّت وزيرة التعليم مارجريت سبيلنجر في تقرير بعنوان (أُمة مسؤولة A Nation Accountable)[1] بأننا «نبقى أمة في خطر، لكننا الآن أمة على علم، أمة عرضة للمساءَلة، وتتعرف أن هناك الكثير الذي يجب عمله.. لأول مرة في تاريخنا لدينا بيانات صادقة لتقويم أداء الطالب». وفي اعتقادي أن تعليقات سبيلنج وفشلها في المتابعة عبر تدخلات إيجابية محددة كانت مجرد كلام للاستهلاك.

وركز الجزء الباقي من تقرير (أُمة مساءَلة) مبدئيًّا على كيف أن القانون الصادر حديثًا؛ عدم حرمان أي طفل ((No Child Left Behind (NCLB)) سوف يعود بأمريكا إلى تفوقها التعليمي الذي وصلت إليه في الأجيال السابقة، برسم تخطيطي بعد آخر وإحصاء تلو الآخر، اهتم هذا التقرير الذي غطَّى مرحلة زمنية استغرقت ربع قرن، بموضوعات معيَّنة؛ مثل زيادة معدل ترك المدرسة، والمستويات المنخفضة في إتقان القراءة والحساب. شيء واحد فقط كان مفقودًا؛ وهو أن التقرير لم يهتم فعليًّا بالأطفال الموهوبين. في الحقيقة فإن كلمة (موهوب) لم تُستخدم ولا مرة واحدة في (أُمة مساءَلة). ومرة أخرى تُرك أكثر أبنائنا قدرةً على الهامش؛ ولم يتلقوا قط ما جاء في توصيات (أمة في خطر)؛ لقد ذاب التغير الزلزالي في المواقف تجاه الطلاب الموهوبين، الذي بدا ظاهرًا في عام 1983م، مثل كتل الثلج الرقيقة في شهر مايو.

خطوة إلى الأمام.. خطوتان إلى الوراء، غباؤنا يستمر!

(1) تقرير نشرته وزارة التعليم الأمريكية في العام 2008م بعد نحو ربع قرن من تقرير (أمة في خطر)، راجعت فيه مسيرة التعليم في الولايات المتحدة، وقالت إننا وإن كنا في خطر في عام 1983م، فإننا الآن في خطر أكبر، وقال التقرير إن مخرجات التعليم لا تتماشى مع المتطلبات المتزايدة للاقتصاد العالمي.

Digitized by Google

أمة مخدوعة

ولكن، وبعد مرحلة أخرى من الإهمال الواسع لاحتياجات الطلاب الموهوبين، ظهر تقرير جديد، وهذه المرة كانت له أنياب وأموال؛ كان هذا التقرير بعنوان (أمة مخدوعة.. كيف تكبح المدارس جماح أذكى طلاب أمريكا؟ A Nation Deceived: How Schools Hold Back America's Brightest Students Colangelo, Assouline, & Gross, 2004)، وموَّلته مؤسسة جون تيمبلتون، بمبلغ (361) ألف دولار، وكان التقرير استثمارًا صغيرًا نسبيًّا أنتج عائدًا ضخمًا، وقد هدف التقرير الأخير المكوَّن من جزأين دراسة دور برامج التسريع في المدارس الأمريكية. (لتحميل التقرير، انظر الرابط الإلكتروني http://www.nationdeceived.org). وتناولت مئات من الدراسات والبحوث الأنماط المختلفة الأخرى للتسريع الأكاديمي، ودرس الباحثون ممارسات أخرى مثل تخطِّي الصفوف والالتحاق بالروضة أو الجامعة مبكرًا، والدراسة الحرة لموضوعات معقدة وأكثر من (12) نمطًا آخر من أنماط التسريع. وماذا كانت النتيجة؟ لقد ثبت عمليًّا في كل حالة تقريبًا أن التسريع كان طريقة عملية، لكنها غير مستخدمة، لخدمة الطلاب الموهوبين. وفي الحقيقة شعر مؤلفو التقرير بحيرة عندما اكتشفوا أنهم لا يستطيعون العثور على أي ممارسة تربوية أخرى خضعت لبحث شامل، لكنها قليلًا ما تُطبَّق.

وضع كولانجيلو وآخرون (Colangelo, et.al. 2004) قائمة تتضمن عشرين سببًا تجعل التسريع طريقة مثلى لخدمة الطلاب الموهوبين أكاديميًّا، ومن بين هذه الأسباب:

- التسريع هو أكثر المناهج تأثيرًا وإحداثًا للتغيير في الطلاب الموهوبين.
- التسريع هو عملية تدخُّل مجانية.
- يميل الأطفال الموهوبون إلى أن يكونوا أكثر نضجًا اجتماعيًّا وعاطفيًّا من نظرائهم في السن. بالنسبة إلى كثير من الطلاب الأذكياء، يزودهم التسريع بنضج شخصيٍّ أفضل يمكنهم من التواؤم مع زملائهم.

Digitized by Google

- الاختبارات، بخاصة الاختبارات فوق المستوى (استخدام الاختبارات المصممة للطلاب الأكبر سنًّا)، مؤثرة للغاية في تحديد الطلاب الذين يمكن أن يستفيدوا من التسريع.
- الطلاب الموهوبون الذين يلتحقون بالجامعة باكرًا، يخْبَرون بالنجاح الأكاديمي قصير الأمد وطويل الأمد، وهذا من شأنه أن يفضي إلى نجاح وظيفي طويل الأمد، ورضًا شخصي.

إذن، قد تظن من خلال دعمك بقدر كبير من البحث الأصيل عن التأثير الإيجابي للتعجيل، أن المدرسين والإداريين وآباء الأطفال الموهوبين هم مدافعون أقوياء عن مثل هذه التمارين! حسنًا، نعم ولا، وعلى الرغم من أن البحث يثبت العكس، فإن كثيرًا من الأفراد في التعليم لا يزالون ينتقدون التعجيل، وكما يحدث دائمًا في عالمنا عندما تتعارض نتائج البحث مع آرائنا الشخصية وخبراتنا، نميل إلى طرد كل ما يحدث التغييرات من (نتائج البحث)، ونعود إلى اعتقاداتنا الشخصية؛ مثال على ذلك: في مقال من (4) صفحات نشر في مجلة تايم (Thornburg, 2004). وتزامنًا مع إطلاق (أمة مخدوعة) قالت معلمة تبلغ من العمر 34 عامًا، وقد تخطت أحد الصفوف في المرحلة الابتدائية: «في المدرسة الثانوية، كنت أتعرض للمضايقة لأنني عذراء، وسرعان ما أردتُ أن أفعل الأشياء ذاتها التي كان يفعلها زملائي، على الرغم من أنني كنت صغيرة» (ص58).

وعلى الرغم من أنني أتعاطف مع ذعر هذه الكاتبة العذراء، لكن أجد من الصعب أن أصدِّق أن قرارًا يضعها مع مجموعة من الأطفال الأكبر منها سنًا بقليل وبسن الرابعة، يمكن أن يؤدي إلى مضايقات المراهقين التي تحكيها هذه المعلمة، وحتى إذا حدث ذلك، فماذا ستكون الخطة البديلة؟ هل توضع هذه الطفلة (وآلاف مثلها) في فصل مع أجيالها في مرحلة الروضة، وتكون هي ومعلمتها الوحيدتين في الغرفة القادرتين على القراءة؟ فالإحباطات الفكرية التي يمكن أن تتحملها عندئذٍ، وفي السنوات اللاحقة قد يكون لها تأثير في نفسيتها، إلى حد يفوق أهمية بعض التعليقات المتناثرة من مراهقين جهلاء عن خبرتها الجنسية.

Digitized by Google

بالطبع يوجد بعض الأطفال الموهوبين الذين يعد أقصى أشكال التسريع بالنسبة إليهم (أي تخطِّي مرحلة أو أكثر من مراحل التعليم) اختيارًا غيرَ ملائم، وقد أبدى مؤلفو (أمة مخدوعة) اهتمامًا كبيرًا في معرفة ماهية هذه الحالات، وراجع عدد كُتَّاب هذا التقرير وغيرهم مقياس أيوا للتسريع (IAS; Assouline, Colangelo, Lupkowski-Shoplik, Lipscomb, & Forstadt, 2009) الأداة التي تُستخدم في حساب الفوائد الممكنة لتسريع المرحلة بكاملها للطلاب في مراحل (ك - 8). باستخدام (مقياس أيوا للتسريع) يعد الناس مضطرين للحكم على التسريع معتمدين على المشاعر أو الميول الشخصية؛ فقد أصبح في وسعهم استخدام أدوات البحث المثبتة لترشدهم إلى قراراتهم.

ما فعله (أمة مخدوعة) كان إلقاء الضوء على المرات التي لا حصر لها حينما يصبح التسريع طريقة ملائمة لخدمة الطلاب ذوي المقدرة الأكاديمية بطرق شرعية ومحترمة؛ مقاس واحد في الأحذية وفي التعليم قد لا يناسب الجميع، فمثلما أن زوجًا من الأحذية مقاس 7 لقدم مقاس 9 قد يسبب التهابًا في أصابع القدم وشعورًا بعدم الارتياح، فكذلك الوضع التعليمي؛ عندما نضع مقاسًا أصغر ينتج منه تعذيب وألم للطالب، ووضع غير صحيح من حيث السن والعقل.

النتيجة النهائية لـ (أمة مخدوعة) أن ممارسات التسريع هي انتقال من الخلف إلى الأمام في المناقشات الساخنة حول (كيف نخدم الأطفال الموهوبين؟). ولم يضر إطلاقا أن كتَّاب هذا التقرير (وجميعهم أفراد محترمون جدًّا. ومجموع سنوات خبراتهم تتجاوز 100 سنة مع الأفراد الموهوبين) كانوا معروفين بين أقرانهم الأكاديميين بوصفهم متعلمين ليست لديهم فأس مناسبة جاهزة للضرب، وكما يفعل بعض العاملين في مجال تعليم الموهوبين؛ فهم أرادوا ببساطة أن يبذلوا أقصى ما في وسعهم أيًّا كان الطفل الموهوب الذي يجلس أمامهم.

ونقطة إضافية أخرى: أصدر (أمة مخدوعة) في وقت كان فيه الدفاع عن الأطفال الموهوبين، خلال مدة 30 سنة، قد بدأ يؤتي ثماره؛ تأسيس معهد ديفيدسون لتنمية الموهبة.

Digitized by Google

قوة التفكير المبهر

كانت جان ديفيدسون منذ البداية صاحبة مبادرة: بدأت خدمتها التدريسية في سن الثالثة عشرة، وفي السنوات اللاحقة تساءلت جان: لماذا لا تستخدم روائع تكنولوجيا الحاسوب في تعليم الأطفال على أسس فردية؟ ومع ذلك لم تأتِ أواخر السبعينيات - إلا وكان كل طالب غير محتاج إلى أن يكون في الصفحة ذاتها من الكتاب المدرسي نفسه في الفصول، في جميع أنحاء أمريكا؛ لذلك أُسِّسَت في عام 1982م شركة ديفيدسون ورفاقها لتقدم برامج الحاسوب التعليمية للعموم، وإذا سبق لك أن استخدمت برامج الرياضيات أو برامج القراءة؛ فعندها تكون قد لامست عبقرية جان.

بوب (زوج جان) حاصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس، والدكتوراه من جامعة جورج واشنطن، وكان نائب المدير التنفيذي للهندسة والبناء في مؤسسة غلوبال بارسونز، أقنَعَتْه جان في عام 1989م بأن يترك بارسونز، ويصبح المدير التنفيذي لديفيدسون وزملائها المشاركين، حيث استمر هذان الزوجان النشيطان في إخراج برامج مبتكرة ومحبوبة، وفي أثناء مشاركتهما مع شركات مثل (فيشر برايس) و(سايمون وسكانز)، وقبل أن يبيعا شركتهما في عام 1997م، كانا في أوج نجاحهما وعطائهما.

بعد أن وجهها اهتماماتهما صوب الأعمال الخيرية، قامت جان وبوب بعمل تحليل لمدة عامين حول شرائح من السكان الأمريكيين كانت مهملة إلى حد بعيد، وكانت النتائج التي توصلا إليها مثيرة للدهشة، حيث اكتشفت ديفيدسون في أمة غنية بالعلماء والكتَّاب والموسيقيين والرياضيين الموهوبين أن أعلى الأطفال موهبة هم من أكثر الأطفال المعرضين للإهمال في أمريكا!

ومن المؤكد أنه إذا كان لأحد مواهب أو استعدادات عقلية أو إبداعية غير عادية، فإن المدارس تكون مطالَبَة بعمل كل ما في وسعها لتتأكد من أن هذه العبقرية الوليدة ستتفتح وتصبح زهرة كاملة، وعندما اكتشف جان وبوب أن الحالة ليست كذلك، أخذا المهمة على عاتقهما وتغير عالم تعليم الطفل الموهوب إلى الأبد.

Digitized by Google

تأسس معهد ديفيدسون لتنمية الموهبة (Davidson Institute for Talent Development) سنة 1999م بوصفه مؤسسة غير ربحية، هدفها المعلن تحديدًا هو الدعم اللامحدود للأطفال الموهوبين من خلال مصادر المعلومات، والشبكة العنكبوتية والفرص التربوية ودعم الأسرة والتأييد والمِنَح الدراسية.

بدأ بـ (برنامج الدارسين الصغار) (Young Scholars) وبخمسة عشر طفلًا من ذوي الموهبة الأعلى، وتنامى (برنامج الدارسين الصغار) حتى أصبح اليوم يخدم أكثر من (2000) طفل موهوب، وأسرهم في جميع أنحاء الدولة، لكن (برنامج الدارسين الصغار) كان مجرد بداية، فحينما المَّ ديفيدسون بكل شيء عن الموهوبين استمر بالنمو في السنوات اللاحقة، وهذه فقط بعض من البرامج المقدَّمَة:

- معهد فَكِّر (THINK) الصيفي هو بمثابة برنامج إقامة لمدة ثلاثة أسابيع في جامعة نيفادا، رينو، للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و16 سنة، حيث يحصلون على 6 ساعات من المنهاج الدراسي للكلية، من خلال هذه المدرسة الصيفية المسرّعة.
- أكاديمية ديفيدسون في نيفادا، ثمرة لمعهد (فَكِّر)، وهي مدرسة عامة مجانية مجازة لطلاب المدرسة المتوسطة والثانوية الموهوبين، وأضيف حديثًا عنصر الإقامة إلى برامجها اليومية، التي تُقدم لأكثر من (175) طالبًا مسجلًا فيها.
- (زملاء ديفيدسون) برنامج منحة دراسية يقدم منحًا مالية تتراوح بين 10 آلاف و50 ألف دولار أميركي للطلاب الذين يكملون عملًا مبتكرًا مهمًّا، بهدف عمل إسهام مجتمعي إيجابي في أي من المجالات الآتية: العلوم، والرياضيات، والتكنولوجيا، والموسيقى، والأدب، و(بعيدًا عن إطار التفكير) الذي يجمع بين أي من التخصصات المذكورة أعلاه. وطالما قدم منحًا لـ (184) زميلًا وبأكثر من (4) ملايين دولار في عقد واحد فقط، فقد أدرجت هذه المنحة التعليمة مع منحة (الكلية المتحدة للزنوج)، و(مؤسسة بيل وميلندا غيتس)، و(مهرجان ملكة جمال أمريكا)، بوصفها واحدة من أكبر (10) منح دراسية في العالم سنة 2012م، من قبل منظمة أحسن الكليات (The best colleges.org).

Digitized by Google

- نقابة المعلمين، وهي خدمة مجانية للمعلمين والإداريين والمستشارين، تربطهم إلكترونيًّا بأصحاب المهن الأخرى ذوي الاهتمامات الخاصة بالموهبة والأطفال الموهوبين.
- (قاعدة بيانات ديفيدسون للموهوبين) تتضمن مئات المقالات القابلة للتحميل مجانًا، في أي مجال من مجالات الموهبة، من الكمالية إلى التعريف بالأطفال ذوي الموهبة الاستثنائية الذين لديهم الموهبة والإعاقة في آن معًا، وقاعدة البيانات (التي تُحدَّث بانتظام)، تتوافر أيضًا على معلومات عن السياسات والقوانين الخاصة كلها التي تُعنى بتعليم الموهوبين في الدولة.

«كلَّما ازداد معدل الذكاء، زاد التميُّز، إذن التفرد هنا هو المفتاح، وتلبية احتياجات الطفل الكلية هي الهدف. ولتحقيق هذا الهدف نحتاج إلى التركيز أكثر على مفكرين مبدعين موهوبين، يحفزون للإبداع على نحو متواصل، ولا يقبلون التكرار، وربما ينتجون فعليًّا (أو لا ينتجون) كتابة، ورسمًا، وموسيقى.. إلخ. برامج الموهوبين لا تغذي فقط عقولهم المبدعة، ولكن يجب أيضًا أن تركز على أهمية المهارات التنظيمية وقيم العمل القوية، وتحدد الهدف، وتعلم كيف نتعلم؛ حتى يتملك هؤلاء الأطفال الأدوات الضرورية التي يوظفونها بنجاح في المجتمع».

سندي كرو – أستاذ جامعي

ومربية لنحو 20 طفلًا موهوبًا، نيوبورغ، ولاية إنديانا.

تناولت عائلة ديفيدسون مجموعة فرعية من الموهوبين الذين اهتمَّ بهم قليلون من قبل؛ أطفالًا ذوي موهبة كبيرة (نعم حيث مستوى التخلف العقلي يتراوح بين المتوسط والشديد – كذلك الأمر في الموهبة)، وما توصلت إليه عائلة ديفيدسون هو أن الأطفال الأكثر كبتًا في المدرسة، وهؤلاء الأكثر عزلة عن نظرائهم الحقيقيين، هم الأطفال ذوو العقول التي تسبق المرحلة المتوقَّع أن يوضعوا فيها بثلاث سنوات أو أكثر، ومن أمثلة هؤلاء الأطفال اثنان من الدارسين في معهد ديفيدسون 2012م:

- سارة فولز (17 سنة) فازت بمنحة دراسية قيمتها (50) ألف دولار لمشروعها الذي يحمل عنوان (تحسين الوقود البيولوجي المستخرج من الطحالب)، حيث قامت بعملية لزيادة كمية الزيت المنتج طبيعيًّا من الطحالب؛ لجعل الوقود البيولوجي

Digitized by Google

المنتج من الطحالب أكثر نفعًا ويحافظ على البيئة، وهو حل لمشكلتنا في الحصول على الطاقة.

- ناثان تشن (18 سنة) فاز بمنحة دراسية قيمتها (25) ألف دولار، وأكمل مشروعًا بعنوان (أهمية العاطفة)؛ حيث كتب ناثان في هذا المشروع مجموعة كبيرة من الأوراق تناقش: ماذا يعني أن تكون ناجحًا بمفتاح تملكه وهو اللحاق بعواطف شخص ما.

على الرغم من أن معهد ديفيدسون لتنمية الموهبة (DTTD) يهتم في المقام الأول بالمستوى الأعلى موهبة بين الأطفال الموهوبين، فإن عمله يمتد ليؤثر تأثيرًا كبيرًا في مجال تعليم الموهوبين كله، ويعدُّ موقعه الإلكتروني http://www.davidsongifted.org الأنجح بلا جدال بين آلاف المواقع الأخرى التي تستهدف الموهوبين. صدور كتاب ديفيدسون (العبقرية المرفوضة: كيف نوقف تضييع عقول أذكى صغارنا)[1] في 2004م، أخرج قضية الأطفال الموهوبين لجمهور القراء العاديين الذين لم يسبق لهم أن عدُّوا أن الأطفال الموهوبين في مدارسنا في خطر؛ وجهودهم الحثيثة للوصول إلى المدارس والمعلمين والوالدين جاء إليهم بكثير من المقترحات والنصائح التي توافرت لديهم عن طريق أنظمة خدماتهم الواسعة، وقدمت الراحة والمعلومات إلى هؤلاء الذين - حتى الآن - لا يزال لديهم قليل من الأماكن الموثوق فيها ليلتفتوا إليها؛ إذا كان في مجال تعليم الموهوبين ثمة أبطال خارقون، فإن جان وبوب ديفيدسون سيكونان الأبرز بينهم، وسيكون هناك بطل آخر صديق لهما: جاك كنت كوك.

مؤسسة جاك كنت كوك (Jack Kent Cooke)

ربما تستطيع القول إن جاك كنت كوك عاش حياة زاهية؛ فهو مواطن من أونتاريو ترك المدرسة الثانوية ليساعد أسرته ماديًّا في أثناء مدة العوز الأكبر (الأزمة الاقتصادية الكبرى)؛ كان جاك يبيع الموسوعات ويوصلها إلى المنازل لمدة ثلاث سنوات (بدأ العمل في سن الرابعة عشرة)، ثم شقَّ طريقه في عالم المال، وأخيرًا أصبح مشرفًا على الجرائد

(1) Genius Denied: How to Stop Wasting Our Brightest Young Minds

Digitized by Google

ومحطات الإذاعة في أرجاء كندا كلها. كان جاك كنت كوك رياضيًّا وموسيقيًّا، وعلى الرغم من أنه لم ينل قسطًا من التعليم العالي بطرق الجامعة التقليدية، إلا أنه ظل يحترم دومًا الذكاء؛ ذكاءه وذكاء الآخرين، وأصبح شعاره في وقت لاحق: «القدر يتطلب منك أن تفعل أفضل مما تعتقده أنه الأفضل»، وهذا ما قام به بالفعل؛ فبعد انتقاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصوله على المواطَنة في التسعينيات، تضاعفت ثرواته، وأخيرًا امتلك مبنى (كريزلر) في مدينة نيويورك ولوس أنجلوس ليكرز وواشنطن ريد سكينس من بين حقوق امتيازات أخرى.

تزوج جاك كنت كوك في حياته خمس مرات (حسنًا، في الحقيقة أربع مرات؛ فقد تزوج المرأة نفسها مرتين)، وتراوحت مُدد زواجه بين (73) يومًا إلى (45) سنة، وعند وفاته سنة 1997م، لم يترك ثروته الضخمة البالغة الضخامة لأبنائه، وإنما لمؤسسة تعنى بخدمة الأطفال والشباب الذين لهم الظروف التي عاشها في يوم ما؛ عندما كان شديد الذكاء مبدعًا بظروف اقتصادية متواضعة، كان اعتقاده أنك إذا أعطيت أطفالًا ذوي مستوى عالٍ، ولبَّيْتَ احتياجاتهم المادية والتوجيهية المناسبة، وكفلت لهم الموارد المناسبة في المدرسة الثانوية، أو الكلية، أو ما بعد ذلك، فسوف تظهر عظمتهم، هكذا وُلدت مؤسسة جاك كنت كوك. انظر الموقع الإلكتروني (jkcf; http://www.jkcf.org)، وإليك كيف تعمل:

- انطلقت مؤسسة جاك كنت كوك بعملها في سنة 2000م ولها اليوم عدد من الأفرع.
- تطبيقات برنامج الدارسين الصغار (ما يبعث على السخرية أنه يحمل الحروف الأولى ذاتها الموجودة في برنامج معهد ديفيدسون لتنمية الموهبة) متوافرة في نهاية الصف السابع.
- الطلاب المقبولون – نحو 65 طالبًا سنويًّا– يبدؤون برنامجهم في الصف الثامن، ويستمرون فيه حتى المرحلة الثانوية وما بعدها، ويُختارون تبعًا لإنجازاتهم الأكاديمية، والمنهج الدراسي الإضافي في الرياضة والفنون.

Digitized by Google

- قد يحضر هؤلاء الطلاب برامج صيفية للشباب الموهوبين، وفصول التعليم عن بُعد، وتعليمًا متخصصًا في الموسيقى والفن، أو حتى يتلقون رسومًا دراسية خاصة، في حال عدم توافر مدرسة ثانوية مناسبة لتعليم طالب معين.
- متوسط دخل أسرة المتقدم للدراسة يكون أقل من 30 ألف دولار سنويًّا، و90% من أسر المتقدمين متوسط دخلها أقل من (60) ألف دولار.

ثمة جزء ثانٍ من البرنامج هو برنامج نقل المنحة للمرحلة الجامعية الأولى، يقدم مساعدة مالية لجمهور الطلاب البارعين في الكلية الذين يسعون للحصول على درجة علمية من جامعة محترمة، وأحد هؤلاء الطلاب ليندا رودريجيز، طالبة في كلية ميامي- ديد، التي وصفت(مؤسسة جاك كنت كوك) على موقع (jkcf) كالآتي: ليندا فتاة في السابعة عشرة من عمرها بلا مأوى، ولا عمل، ولا يبدو كذلك أن مستقبلها سيكون مشرقًا. بكل الأحوال وبفضل الأستاذ في ميامي- ديد تعرف إمكانات ليندا، وبدأت الدراسة، على الرغم من العقبات الموجودة في حياتها، وتخرَّجت بعد مرور عامين بمعدل تراكمي (97.3) درجة، وكانت حينها تعمل في وظيفتين، هذا فضلًا عن أنها شاركت الفرقة النموذجية للأمم المتحدة باسم مدرستها، واختارتها مؤسسة (جاك كنت كوك) لبرنامج نقل المنحة الدراسية، وستحصل ليندا على بكالوريوس في علم الاجتماع من جامعة جورج تاون، بهدف أن تصبح محامية وبعد ذلك قاضية.

بالإضافة إلى ذلك، يوجد برنامج منحة دراسية للكلية، حيث يتلقى الدارسون (30) ألف دولار سنويًّا للدراسة في كلية لمدة (4) سنوات، ومنحة الخريجين في كلية الفنون، حيث تكرم طلابًا بإعطائهم أكثر من (50) ألف دولار سنويًّا للدراسة في كلية فنون أو موسيقى بحسب ما يختارون، ومنح الجار الطيب من (10 إلى 35) ألف دولار تُقدم للمعاهد المحلية في واشنطن الكبرى؛ منطقة دي سي، وتساعد الأطفال شديدي الفقر عن طريق أنشطة؛ كالتنس والشطرنج والصحافة الرقمية، زد على ذلك منحة تنمية الموهبة البالغة (500) ألف دولار، التي قدمت لأول مرة في عام 2012م، لأكاديمية رينزولي في هارتفورد، سي تي- ومدرسة ك- 8 للموهوبين من الأسر ذات

Digitized by Google

الدخل المنخفض، وهذه المنحة سوف تسمح لأكاديمية رينزولي بالتوسع في ثلاث مدن جديدة.

وبتشجيعها السفر إلى الخارج، خرج كثير من الأساتذة في مؤسسة (جاك كنت كوك) ليقدموا خدمات أساسية على مستوى العالم في مجالات الصحة والتعليم ولمن يحتاجون المساعدة، ومن أجل إعطاء مثال جيد فقط؛ اثنان من الأساتذة التقيا لأول مرة في عام 2006م فيما يسمى بـ (عطلة نهاية الأسبوع للأساتذة كلهم)، هما جايسون ستيرن وكاراليف هولفيرسون، وتزوجا في سنة 2009م، كلاهما كان طالبًا منقولًا من كليات المجتمع، والآن تركا مهنتهما في الكلية خلفهما؛ حيث يعمل جايسون مهندسًا، وكاراليف أستاذة في ترومان، والبرنامج ذو التنافسية العالية للأفراد الذين يرغبون في استكمال مهنتهم في الخدمة العامة. ربما تعتقد أن جاك كنت كوك قد يفتخر بهذا الاتحاد؛ في رسالة كتبها المهاجر حديثًا إلى الولايات المتحدة سنة 1917م إلى أسرته في أوروبا، جاءت فيها هذه العبارة: «قبل أن آتي إلى أمريكا، سمعتُ أن الشوارع مرصوفة بالذهب، وعندما وصلت تعلمت ثلاثة أشياء؛ أولًا: الشوارع ليست مرصوفة بالذهب. ثانيًا: هي ليست مرصوفة على الإطلاق. ثالثًا: من المنتَظَر أن أرصفها أنا». كَرَمُ بعض الناس أمثال جاك كنت كوك جعل كثيرًا من عمليات الرصف هذه ممكنة.

من السجن إلى الوعد

كودي ستوذرس شاب موهوب في الثانية والعشرين من عمره، وهو مسجَّل حاليًّا في جامعة فاندربيلت في برنامج ثنائي؛ دكتوراه في الفلسفة، وأخرى في الطب. وهذا توسُّع أبعد من البدايات المتواضعة التي بدأ منها، فقد كُتب ملخص مقتضب عن هذا الطالب (Wilemon, 2013). وُلد كودي في مستشفى السجن في أركنساس قبل عيد الميلاد بيومين سنة 1991م، بعد ذلك بأيام قليلة جاءت به جدته فرانسيز تايلور في كيس عيد الميلاد إلى البيت؛ تايلور التي ربته على دخل المعاقين الذي لا يصل إلى (10) آلاف دولار سنويًّا، وكان التشديد دومًا على كودي بأن التعليم هو أحسن الطرق للخروج من

Digitized by Google

الفقـر، وكانـت تايلـور تذهـب باسـتمرار إلـى المكتبـة، مـع حفيدهـا لأن الكتب هنـاك كانت مجانية.

طريـق كـودي إلى جامعة فاندربيلـت ربما تكون جدَّته قد مهّدته له ، ولكن فرصة أخرى عجلـت مـن ظهـوره؛ برنامـج يسـمى (أسـبيرنوت http://www.aspirnaut.org)، يركز على مناطق أساسية في العلوم، والتكنولوجيا، والهندسة والرياضيات ومحاولات لإشغال الأطفال في سـن خمـس سـنوات ببرامـج صارمـة وجذابة، بدأ بهـا أسـتاذان من جامعـة فاندربيلت؛ أحدهما ترك المرحلة الثانوية بسبب ظروف الحياة، وحدث أن عاش كودي في المدينة التي يوجـد فيهـا برنامج (أسـبيرنوت)، وأصبـح أحد المشـاركين فيه، وعندما كبـر أصبح كودي مدرِّسـا للأطفـال الصغـار يعلمهم مهارات الحاسـوب، ومؤخرًا بات هـو و(82) من الطلاب الآخرين يشاركون في كتابة المقالات الصحفية التي تعتمد على بحثهم في العلاج بالعقاقير لمحاربة السرطان، وعَلم كودي بقبوله في برنامج الدكتوراه المزدوجة في أيام عيد ميلاده، الكعكـة البيضـاء ذات الزينـة الكثيفـة والملونـة التي صنعتها لـه جدته لعيد ميـلاده لا بد أن مذاقها لذيذ فعلًا.

... ما زال هناك لاعب آخر

منحة كارولين دي برادلي تشـبه مؤسسـة جاك كنت كوك من ناحية التصميم، يديرها معهـد التطوير التعليمي غير الهـادف للربـح (EA;) .http://www.educationaladvacemet org تأسسـت في جنوب باسـادينا، سـي إي. تنويه: أنا عضو في مجلس إدارة (معهد التطوير التعليمـي غيـر الهـادف للربح) مثل مؤسسـة (جاك كنت كوك)، هذه المنحـة مفتوحة لذوي المسـتوى العالـي مـن الموهبة من طلاب الصف السـابع الذيـن يظهرون الموهبـة التعليمية المتقدمة والتميز الشخصي، ويتم اختيار الأساتذة في كل سنة منذ عام 1999م، في البداية كانـت تشـمل فقـط الطـلاب المقيميـن فـي كاليفورنيـا، واليوم تضـم مجموعة مـن الطلاب المجتهديـن، والخريجيـن من جميع أنحاء الوطن. وبالإضافة إلى دفع نفقات التعليم الكاملة لأي طالب في المدرسـة الثانوية يسـتطيع أن يحقق مواهب فردية، وأيضًا توجد سنويًّا ندوات لمدة ثلاثة أيام، حيث يناقش الأساتذة السابقون قضايا ذات أهمية عالمية وشخصية، ويكمل

Digitized by Google

حضورَهم ضيوف مشاركون متحدِّثون يتفاعلون مع الأساتذة في الأيام الثلاثة للحدث. وثمة فارق وحيد بين منحتي (برادلي) و(جاك كنت كوك)، هو أن منحة برادلي مفتوحة للجميع؛ أي إن الطلاب كلهم ومن مختلف الطبقات الاقتصادية يمكن أن يتقدموا لها. وعند مناقشة تأثير منحة «برادلي» علق أحد أولياء الأمور قائلًا: «الأبواب والفرص والخبرات مفتوحة (لابني) بطريقة لم يحلم بها أحدنا؛ فهو يستطيع أن يحضر المدرسة الثانوية التي تلبي احتياجاته الفردية كلها وأهدافه» (معهد التطوير التعليمي، د.ت).

إلى جانب منحة برادلي، يرعى معهد التطوير التعليمي (Institute for Educational Advancement) برامج نهارية وأخرى للمقيمين فيه من الطلاب الموهوبين في المدرسة الابتدائية من خلال المدرسة الثانوية، وينظم برامج الإقامة الصيفية الثانوية في معسكر يوناسا، وهي تجربة معسكر صيفي لمدة أسبوع في كل من ميتشيغان وكولورادو، للأطفال ذوي الموهبة العالية، للأعمار من سن 10 سنوات فما فوق، هذا الفيض الوافر من الكرم الخاص تجاه الأطفال الموهوبين من المؤسسات، الذي ألقينا الضوء عليه، يتناقض بشدة مع الحوافز المالية المقدمة من القطاع العام على مستوى الولاية أو المستوى الدولي.

وعلى المرء أن يتساءل هنا: لماذا لا ترى الهيئات الحكومية التعليم الصحيح للأطفال الموهوبين شيئًا مهمًّا من أجل حيوية أمتنا الاقتصادية والعقلية؟ التفكير قصير النظر قد يكون رأس هذا الجبل الجليدي من الجهل.

فوضى أبجدية الاختيارات

إذا كان ثمة شيء واحد يتفق عليه الجميع، فهو أن المعلمين هم سادة الاختصارات اللفظية (PBL, AP, STEM, VA, IB)؛ هذه النزعة إلى اختصار كل شيء في خليط أبجدي ربما تكون مريحة لكنها أيضًا مشوشة؛ فما زالت البرامج والفكر الكامنة وراء هذه الاختصارات اللفظية تحمل كثيرًا من الوعود للمتعلمين الموهوبين (وغيرهم، طالما لا شيء من هذه الاختيارات مصمَّم ليقتصر على الطلاب الموهوبين) إذا طبقت بعناية ودقة. دعونا نلقِ نظرة على بعض هذه الشروط؛ فرغم أنها غير كاملة، لكنها اختيارات مفيدة جديرة بأن تؤخذ في الحسبان.

Digitized by Google

التعلم المرتكز على المشكلة (PROBLEM-BASED LEARNING)

توم واغنر الطالب في السنة الثانية في فصل التاريخ الأميركي في المدرسة الثانوية في سيملي في مرتفعات إنفر غروف في ولاية مينيسوتا، تقدم لامتحانات الدورة الأخيرة، لكن ما زالت هناك أسابيع عدة حتى تبدأ الإجازة الصيفية، ماذا يفعل؟

ذكر معلم توم في الفصل ذكرًا عابرًا أن جسرًا تاريخيًّا محليًّا وُضع في جدول التدمير خلال شهرين؛ فقد بُني جسر روك أيلند سوينج (Rock Island Swing Bridge) سنة 1894م، وأُغلق عام 1999م لمقتضيات السلامة، ثم عاد ليصبح المكان المفضَّل ارتياده للمتزلجين، ومكانًا يتوقف عنده الناس الذين يريدون إلقاء نظرة عامة على نهر الميسيسبي، وقد خطرت لتوم وزملائه فكرة: سينقذون الجسر من التدمير؛ لذا أعدوا بسرعة إفطارًا جماعيًّا بالقرب من الجسر، وأعلنوا عن هذا الإفطار عن طريق المدرسة القديمة (المجلة الناطقة بلسان الكنيسة) والرسائل المعاصرة (على فيس بوك)، وجمع الطلاب نحو (1000) دولار بجهودهم لإنقاذ الجسر، وقدم طلاب السنة الثانية عرضًا جذب انتباه الجمعيات المحلية المهتمة بالتاريخ، وجمعيات المحافظة على البيئة، وقدموا عرضهم لمجلس المدينة، مطالبين بإنقاذ الجسر، وتحويل المنطقة إلى حديقة ترفيهية، فرفع مجلس المدينة الطلب، وأرسلوه إلى الهيئة التشريعية بولاية مينيسوتا، حيث تمت الموافقة عليه أيضًا، ووقَّع المحافظ تيم بولنتي قرارًا يمنع هدم الجسر.

اليوم الحديقة حقيقة موجودة بالفعل تمتلكها المدينة وتقوم بأعمال الصيانة فيها، ويتأهب المهندسون لتصميم الجسر والمتنزه وتجديدهما، ووضعت لوحة تذكارية بالقرب من الجسر توضح مبررات بقائه، وكتب توم واغنر الطالب في فصل التاريخ الأميركي من طلاب الصف الثاني بمدرسة سيملي الثانوية معلقًا: «إنقاذ الجسر كان أفضل شيء عملناه». (Branch, 2011, p.3).

عندما يعود الكبار بتفكيرهم إلى الوراء في أجمل خبرات التعلم التي مروا بها، فإنهم نادرًا ما يذكرون امتحان الجبر المرعب الذي أُخضعوا له في الصف الثامن، أو صورة النظام الشمسي التي عملوها من خلال كرات الستايروفوم. لا...، ما يتذكرونه ونتذكره

Digitized by Google

نحن هو هذه الأوقات حينما انتهى تعليمنا، وألقينا الهم على شخص آخر بدلًا من أن نلقيه على أنفسنا، هذه الأوقات الماتعة في المدرسة تكون عادة قليلة ونادرة، لكن عندما تحدث يجد معظم الطلاب أنفسهم في حالة من السعادة التربوية القصوى، وعندما تنفذ أنشطة من هذا القبيل بهدف معيَّن ليرى الطلاب والمعلمون جدارتهم، فإنهم يمارسون شكلًا من ضروب التعلم المرتكز على المشكلة (PBL).

بدأت حركة التعلم المرتكز على المشكلة (PBL) في جامعة ماك ماستر في هاملتون بولاية أونتاريو في ستسنيات القرن الماضي، كان أساتذة كلية الطب يرون أن أساتذتهم الملهمين يصيبهم الملل وخيبة الأمل من منهج كلية الطب؛ الحفظ، الامتحان، المصطلحات. صرخات المحتجين: (ما علاقة هذا؟) كانت تسمع دومًا، وردًّا على هذا قُدِّم نوع جديد من التعليم يركز على حالات طبِّية حقيقية، والمشكلات التي يواجهها الأطباء المتدربون في محاولة علاج المرضى من أمراضهم، والنتائج كانت مفاجئة...، على نحو جيّد؛ أصبح الطلاب قادرين على حل المشكلات بأسلوب جيد متجهين بأنظارهم إلى التفكير النقدي وتكوينِ أحكام لها تبعاتها الحقيقية.

هذا النوع من التدريب أخذت به مدارس طبية أخرى في الآونة الأخيرة (نحو 80 في المئة يستخدمون حاليًّا بعض عناصر التعلم المرتكز على المشكلة، وأخيرًا تستخدمه مدارس القانون والتعليم والمجالات الأخرى، حيث أطراف العالم الخارجي أصبحت أدوات تعلُّم مبهرة).

في التسعينيات من القرن الماضي، طُبِّقت فكرة (التعليم المرتكز على المشكلة) في المدارس المتوسطة والثانوية (على الأقل في بعض منها)، وتبنَّت بعض البرامج القليلة والخاصة بالطلاب الموهوبين فكرة (التعليم المرتكز على المشكلة) للتدريس والتعليم. ولك أن تتخيل الأدوار الأساسية للمدرِّس والطالب التي تتغير بطريقة حادَّة عند استخدام (التعليم المرتكز على المشكلة)؛ فعلى سبيل المثال: المدرِّس ليس المخرج لكل ما هو مهم (الحكيم على المسرح)، لكن بدلًا من ذلك أصبح المرشد الجانبي (الشخص الذي يثير المشكلات الغامضة للطلاب ليفحصوها، يستاؤون منها، ثم يحاولون حلَّها). والطلاب في

Digitized by Google

(التعليم المرتكز على المشكلة) لم يبقوا الطلاب المتلقين وهم جالسون في مقاعدهم لمحاضرة بعد أخرى، وبدلًا من ذلك أصبحوا يكتسبون المعرفة في موضوع معيَّن من خلال القراءة، والبحث، والمناقشة، وتوسُّل التعاون مع الطلاب الآخرين لتنفيذ مهارات حل المشكلة، تمامًا مثلما فعل توم واغنر في مينيسوتا. يستخدم (التعليم المرتكز على المشكلة) المبادئ الإرشادية الآتية:

ماذا نعرف سلفًا عن الموضوع؟

ماذا نريد أو نحتاج أن نكتشف من موضوعنا؟

كيف سنبحث عن إجابات أو حلول، ومَن أفضل من يساعدنا في ذلك؟

إذا بدا لك ذلك حلًّا لمشكلة في عالمنا الحقيقي، فإن ذلك صحيح، وعلى الرغم من أن «(التعليم المرتكز على المشكلة) لم يكن مصمَّمًا ليقتصر في استخدامه على الطلاب الموهوبين، فهو ليس قفزة كبيرة؛ لذا فإن تزاوج الفضول الفطري لدى كثير من الطلاب الموهوبين مع رغبتهم في أن يوجهوا أنفسهم، وأن يفكروا بطرق متكاملة، سوف يجذب الطلاب الموهوبين كالمغناطيس الذي يجذب المعادن.

يُعدُّ عمل المدافعة الموهوبة شيلاف جالانير على (التعلم المرتكز على المشكلة)، في وحدات الدراسة عملًا شاملًا؛ إذ إنها كتبت وحدات على الموضوعات، مثل (الموت الأسود)، و(الأنواع المعرضة لخطر الانقراض)، و(الهجرة الصينية إلى أمريكا). وعلاوة على ذلك، قامت جويس فانتاسل باسكا (Joyce VanTassel-Baska) وزملاؤها في مركز تعليم الموهوبين في كلية ويليام وماري (حيث كانت جويس فانتاسل باسكا مديرة سابقة)، بعمل عشرات من وحدات (K-12) في موضوعات المنهج كلها التي تستخدم طريقة (التعليم المرتكز إلى المشكلة)، أيضًا يوجد كثير من المسابقات الدولية التي تستخدم طريقة التعلم المرتكز على المشكلة (أو أنماطًا هجينة منها) لتشغل الطلاب، ولكي يفكروا بحل مشكلة مستقبلية، يوم التاريخ الوطني أو فِكَر من أيدوتوبيا - المؤسسة التعليمية التي بدأها جورج لوكاس. بالإضافة إلى هذه البرامج المحددة، توجد الآن شبكة للمدارس الثانوية، تشترك

Digitized by Google

فيها (24) ولاية (http://www.nettachnetwork.org)، حيث يتمحور التعلم في هذه المدارس حول المخرجات الآتية:

- مستوى المحتوى.
- التفكير الناقد.
- التواصل الشفهي والمكتوب.
- الاستعداد للحياة المهنية.
- المواطنة والأخلاق.
- الأمية التقنية.

هذه المهارات أدخلت في مشروعات الطلاب تقويماتهم، إضافة إلى كونها مؤشرات النمو في تقارير الطلاب الصفية.

هل تجدي التكنولوجيا الجديدة نفعًا؟ حسنًا، في مدرسة New Tech الثانوية في نابا، في ولاية كاليفورنيا، التي تدرِّس الطلاب بهذه الطريقة منذ عام 1996م، نجد أن (98%) من طلابها يتخرجون، و(95 %) يسجلون في الجامعات، مقارنة بأقل من (40%) في مدارس نابا فالي الثانوية الأخرى، ويلتحق (40%) من خريجيها في أعمال تركز على العلوم والرياضيات، بعكس النسبة على مستوى البلاد التي تبلغ (7%). من الصعب الاعتراض على إحصاءات كهذه! أيضًا اذكر لي طالب في مدرسة ثانوية لا يحب أن يتعاقد مع وكالة الفضاء (ناسا) ليطور رياضات يمكن أن يمارسها رواد الفضاء على القمر - وهذه مجرد واحدة من فرص التعلم القائم على المشكلة التي توفرها مدرسة New Tech الثانوية.

إذا كان من نقد يوجَّه للتعلم المرتكز على المشكلة، فهو ما يمكن أن يتعايش معه كثير من المدافعين عن الموهوبين؛ غالبًا ما يكون العبء المعرفي كبيرًا ويصعب على الطلاب استيعابه، وبتعبير آخر حينما تتفحص موضوعًا ناضجًا (قلْ مثلًا: قضية الهجرة الصينية التي ذكرت آنفًا، أو ألعاب رواد الفضاء في وقت الفراغ)، فإنك لا تواجَه فقط بحقائق وأرقام، وإنما تواجَه أيضًا بتحيز، وأخلاقيات، وعواقب اقتصادية وسياسية.. إلخ. ولكي ينجح الموضوع وموضوعاته الفرعية وتحترم ضخامته، ستكتشف أنك بحاجة إلى مهارات

Digitized by Google

كثيرة غير مطلوبة عند حفظ جدول الضرب؛ التنظيم؛ إدارة الوقت، القدرة على تمييز المهم من التافه، هذه المهارات نادرًا ما تكون فطرية موجودة بحكم الطبيعة وليست بحاجة إلى تدريب لإتقانها، ومع ذلك فالمدرس الحريص المقتدر يستطيع أن (ينهض) بخبرات طلابه التعليمية في (التعليم المرتكز على المشكلة)، وبهذا يصبح الموضوع أو المهمة مذهلة حقًّا، أما المواد المتوافرة من غالافير (مركز تعليم الموهوبين) وغيره، فستكون المرشد في تقديم مثل هذه المساعدة، وكذلك ستكون نموذجًا للمدارس المدرجة على الشبكة بتقنياتها الجديدة.

النقطة الجوهرية هي: إذا كنت تبحث عن أسلوب ثبتت فاعليته للتدريس والتعلم، في الأوقات الحرجة - مثل جناح الجراحة، أو قاعة المحكمة العليا)، فإنك ستجد (التعليم المرتكز على المشكلة) في اللحظة الحاسمة.

مبادرة تعليم ستيم STEM (العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات)

أحد مؤسسي أمريكا أون لاين (AOL) ستيف كيس، وفي محاولة منه لحمل الكونجرس الأميركي على الموافقة على قانون جديد، القانون الذي يحسن البيئة للمقاولين ليؤسسوا أو ليوسعوا أعمالهم، مستشهدًا بالإحصاءات المهمة في مقال نشر عام 2012م: أكثر من (4%) من ثروة (500) شركة أسسها المهاجرون أو أبناؤهم، ووظفوا أكثر من (10) ملايين شخص... (آي بي إم)، (جوجل)، و(أبل)، أسس كلًّا منها مهاجر أو ابن مهاجر (ص1).

وحتى زمن كتابة هذه الكلمات، ما زال القانون الجديد (2,0) يلتمس النظر إليه بعطف في المستنقع السياسي في الكونجرس الأميركي، لكن التبرير وراء أهميته واضح للمعلمين ورجال الأعمال على حد سواء؛ إذا كان على الجيل اللاحق من مقاولي التغيير المجتمعي ووكلائه أن يخرج من مدارسنا (K-12) وكلياتنا، فهذا سيحدث بالتصميم وليس بالمصادفة.

اعتماد تدريس STEM. حتى غير المعلمين يبدو أنهم يعرفون السيناريو: عندما يقارن أطفال أمريكا مع أطفال آخرين في العلوم والرياضيات، حسنًا، أطفال أمريكا لا يحققون

Digitized by Google

مكانة عالية، والسبب أن هذه الإحصائيات نختلف عليها حتى بين المنظمات المشهورة، ومن بينها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD). وقد وجدت المنظمة في تقريرها السنوي لسنة 2011م أنه بين (42) دولة حُلِّلت، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المركز (14) في نسبة خريجي الكليات، والمركز (36) في معدلات خريجي المدارس الثانوية، والمركز (26) في نسبة الأطفال البالغين من العمر (4) سنوات، في برامج تعليم الطفولة المبكرة (oecd, 2012) بهذه البيانات التي تضعهم في الخلف، وحزنهم لما يبدو أنه تراجع في براعة أمريكا التعليمية، بدأ الناس من مناحي الحياة جميعها - المدارس، التجار، الحكومة - في السنوات الأولى من الألفية الجديدة يدعون إلى معالجة الضعف الذي تعانيه الفصول الدراسية في أمريكا: تأكيد تعليم عالي المستوى في مجالات العلوم (S) والتكنولوجيا (T) والهندسة (E) والرياضيات (M)؛ شيء يذكر بالخوف من القمر الصناعي (سبوتنيك) في منتصف الخمسينيات، حينما انطلقت العلوم والرياضيات في المدارس مثلما انطلق صاروخ (سبوتنيك). يطالب الغيورون في أمريكا اليوم بالتركيز على تعليم ستيم (STEM)، بينما كان النقاش في الخمسينيات حول الأمن الوطني؛ الروس هم أعداؤنا وعلينا أن نهزمهم، بينما أصبح سجال عام 2013م سجالًا اقتصاديًّا؛ الصينيون هم منافسونا وعلينا أن نهزمهم، بالنغمة نفسها لكن بمفتاح مختلف..

المبادئ وراء تعليم (STEM)، بدءًا بالمدرسة الابتدائية وحتى الجامعة، تبدو مألوفة في كثير من الاتجاهات الأخرى التي تمت مراجعتها في هذا الكتاب: أن نساعد الطلاب على اكتساب المهارات المطلوبة ليحققوا نجاحًا في عالم اليوم المليء بالتحديات - والقدرة على التفكير النقدي، وحل المشكلات المعقدة، ونساعدهم على التقدم في المجالات التي تركز عليها (STEM)، هذا جيد للطلاب كلهم، لكن نؤكد إلزاميته عندما نأتي لتعليم الطلاب الموهوبين.

بين وزارة التعليم ووزارة العمل في أمريكا، إضافة إلى توفير الأموال من الشركات التي لها اهتمام في مجال تعليم ستيم؛ مثل: إنتل، وتارجيت، وسيسكو، وIBM، كل منها قد استثمرت أكثر من مليار دولار في مشروعات ستيم؛ تتدفق عشرات المليارات من الدولارات

Digitized by Google

إلى برامج إعداد الطلاب لشغل (80%) من الوظائف المستقبلية التي تتطلب بعض خبرات ستيم (Schiller & Arena, 2012)، حتى كريم عبد الجبار الذي عمل سابقًا في فريق كرة السلة في لوس أنجلوس انخرط في مشهد تعليم ستيم، وحتى حكومة كاليفورنيا عام 2012م أطلقت عليه لقب سفير ستيم؛ لأنه كان يسافر بين الولايات محاولًا إقناع الآخرين بالحاجة إلى البدء بوضع برامج ما بعد المدرسة على أن تكون مرتبطة ببرامج ستيم.

ما زال الوقت باكرًا جدًّا لنقول إن فيضان جهود ستيم له تأثير إيجابي كامل في تعليم أطفال أمتنا، أما إذا كان مثل (سبوتنيك)، فإن الحركة ستتلاشى عندما يأتي ما هو أفضل منه. والتركيز على أهداف ستيم عالية المستوى هو بكل تأكيد على وشك التحقق، وهذه الأهداف على الحياة العملية، وستجذب عقول كثير من الشباب الموهوبين... ولكن ليس جميعهم؛ ماذا عن مستقبل الكتاب والفنانين؟ هل نتجاهل احتياجاتهم ونحيلهم إلى مرتبة ثانوية، أو نقلل من حضورهم في مشروع ستيم ؟إن مجموعة الدفاع عن الفنانين الأميركيين (http:www.artsusa.org)، تأمل ألا يحدث ذلك؛ فهم يقترحون تغيير ستيم (STEM) إلى (STEAM) فتضمين الحرف A يضيف عنصر الفنون المهم (Art). فالتفكير بطريقة نقدية، وتكامل الاختصاصات، وتهذيب المهارات المعرفية والإبداعية – ألا تدخل هذه العناصر في تعليم الفنون أيضًا؟

ولكي نهدئ من روع أحبائنا الصغار الذين يعتقدون أن السماء تهبط علينا، وأن الأطفال الأمريكيين في بداية طريقهم إلى الفشل الذريع عندما يوضعون في مجال تنافس على الصعيد الدولي، يذكرنا جريجوري فرينشتين (Gregory Ferenstein, 2012) بهذه الحقائق، وهو ناقد لبعض هذه المدارس الدولية: «منذ أن بدأت المقارنات الدولية بين المدارس عام 1964م، لم تضيع للولايات المتحدة الفرصة في أن تتبوأ مركز الصدارة؛ إذ إننا نهتم في الولايات المتحدة الأمريكية بتعليم كل طفل، وليس النخبة فقط، على عكس الدول التي تتبع لغة واحدة داخل منظومتها التعليمية، مثل كوريا واليابان وإستونيا، فالولايات المتحدة الأمريكية بها عدد لا يُحصى من اللغات المستخدمة في آلاف المدارس داخل الدولة، وعلى البرغم من أن الأطفال في المدارس الصينية يحظون بضعف عدد الأيام

Digitized by Google

الدراسية التي يحظى بها الأطفال الأمريكيون، فقد حصلنا على نتائج متماثلة في اختبارات التفكير العلمي.

بالتأكيد تحتاج الولايات المتحدة إلى دعم مستوياتها التعليمية لأي طفل يرى أن هذا المستوى هو دون إمكاناته، ولكن حين ترى أن (17%) من طلاب الكليات الدولية في العالم يأتون إلى الجامعات الأمريكية، وأننا ما زلنا نحتل مركز الصدارة العالمية في الاقتصاد والابتكار، قد تتلاشى مخاوف أحبائنا الصغار من الانهيار التعليمي.

ما زالت برامج مثل ستيم والتعليم المرتكز إلى المشكلة غير معروفة في مدارسنا، ومن النادر أن نجد مدرسة ابتدائية حيث تعلّم المهارات المطلوبة للنجاح في مبادرة ستيم أو التعليم المرتكز إلى المشكلة على نحو هادف، كثير من المدرسين والإداريين الذين يعبرون عن امتنانهم للاختبار الصعب الذي يبرهن على جدارة المدرسة، يتمسكون بالتمارين التي يظهر فيها المعيار الأساسي للنجاح هو الدقة التي يستطيع فيها الطالب ملء الدائرة الصحيحة في امتحان الفهم الأساسي، ولدينا طريق طويل يجب أن نقطعه قبل أن نستطيع بوصفنا دولة أن ندعي الانتصار على سوء العملية التعليمية.

أوه، قل هل تستطيع أن ترى؟

على وجه العموم، تعد البرامج الإثرائية للطلاب الموهوبين محدودة في سنوات المدرسة الابتدائية، غير أنه في بنسلفانيا الشرقية وفي الوحدة المتوسطة الثالثة عشرة، توجد سلسلة من حلقات البحث تنفذ خلال يوم واحد على مدار العام للطلاب الموهوبين في المدارس المتوسطة والثانوية، وتعمل منذ عام 1982م. كانت هذه الحلقات تسمى SEE (Student Enrichment Experiences) حلقات دراسية في خبرات إثراء الطلاب، فكل تجربة تستمر ليوم واحد يتعرف فيها الطلاب إلى الخبراء والمحترفين في مجالات متنوعة، وكل حلقة من هذه الحلقات تطرح موضوعًا لا يتم تناوله داخل الفصول الدراسية، ويتعرف الطلاب إلى مختلف الخبرات ذات الجاذبية الشديدة. وبعض حلقات البحث التي يبلغ عددها أكثر من ثلاثين حلقة إثراء الخبرات الطلابية (2014– 2013م) لإثراء الخبرات الطلابية للطلبة الموهوبين في المدرسة المتوسطة، تضمنت موضوعات مثل: الحياة في

Digitized by Google

البراري واستكشاف الحياة العملية والتشريح البشري والرقص والثقافة الإغريقية، بينما كانت الخيارات في المدرسة الثانوية تتراوح بين صناعة الساعات، وكيفية الانخراط داخل المجتمع وتعليم مبادئ الطيران إلى تشريح الدماغ البشري.

يمكن لتلك الحلقات البحثية (إثراء الخبرات الطلابية) أن تكون جزءًا من الخطة التعليمية للطلاب الموهوبين (Gifted Education Plan)؛ (خطة تعليم الموهوب)، وهي وثيقة رسمية مطلوبة من كل طالب موهوب في بنسلفانيا. وعن طريق التركيز على الإبداع، والأصالة، وحل المشكلات والمحتوى المعقد والمتقدم، يستطيع المشاركون في حلقات البحث (إثراء الخبرات الطلابية) إدراك فائدة هذه الخدمة، كما هو مدون ضمن تعليقات طالب على الموقع الإلكتروني للبرنامج:

- سأكون قادرًا على استخدام ما تعلمته عن الطيران في نواحٍ كثيرة ومختلفة في الهندسة.
- داخل حلقة المناقشة أنت محاط بأناس أذكياء، والشخص الذي يدرسك يعرف أنك ذكي، ما يجعل الأمر مليئًا بالتحدي.
- حلقة البحث (إثراء الخبرات الطلابية) هي طريقة تدريس أكثر إبهارًا، أنا أرغب في تعلُّم موضوع أنا بالفعل مهتم به.

طلاب المستوى الثانوي يحتاجون إلى أكثر من مجرد محتوى أكثر صعوبة في فصول المدرسة الثانوية – علاوة على أنهم بحاجة إلى أن يستكشفوا العالم خارج نطاق المدرسة الثانوية. وحلقات البحث (إثراء الخبرات الطلابية) هي مجرد طريقة مبتكرة تضع الطلاب الموهوبين خارج جدران مدرستهم. للحصول على مزيد من المعلومات: http:// www.iu13.org/EducatorsandAdministrators/Pages/Gifted

المعاهد الافتراضية (VIRTUAL ACADEMIES)

منذ أن كنتُ صبيًّا صغيرًا، كنت أستيقظ باكرًا حتى في أيام السبت، عندما كانت مشاهدة أفلام الرسوم المتحركة متعتي الصباحية. كنت أبدأ وقت مشاهدة التلفاز في السادسة والنصف صباحًا. لم تكن أي أفلام كرتون تُعرض في هذه الساعة الباكرة من

Digitized by Google

الصباح، لكن كان هناك شيء أفضل؛ شخص يدعى جون جناجي كان يعلمني كيف أرسم. عندما كنت أغيِّر القنوات في أثناء الإعلانات التجارية (التي كانت بالطبع تحثني على شراء أدوات الرسم)، كنت في الغالب أجد ما يشبه الصف المدرسي وفيه أشخاص بالغون يجلسون، وفي الحقيقة كان كذلك؛ كان فصلًا في مرحلة الدراسة الجامعية في موضوع معقد، وشخص يرتدي ربطة عنق يلقي محاضرة. كنت في ذلك الوقت أصغر من أن أعرف أن هذين العرضين نذير بما سيحدث في الجيل المقبل: التعليم الافتراضي؛ ما كان قديمًا يصبح حديثًا.

وعلى الرغم من أن المدارس الافتراضية متوافرة للأطفال في مراحل التعليم كلها، وبمعدل يتزايد دومًا (وقد يقول بعض المعنيين (بنسب خطيرة)، فهي ليست فكرة جديدة. ظهرت أول مدرسة من هذا النوع في عام 1929م، ذلك عندما بدأ بعض المفكرين الناضجين في جامعة نبراسكا دراسة المرحلة الثانوية بصفة مستقلة (Independent Study High School (ISHS))، وهي مدرسة حقيقية من الطوب والخرسانة، للأطفال الذين ربما لم يحضروها قط، تذكر أن نبراسكا ولاية ريفية تغطي مساحة تبلغ (77420) ميلًا مربعًا.. هذا كثير في الجغرافيا!

إذن، في ظل وجود عدد كبير من طلاب المدرسة الثانوية يحضرون إلى مدارس صغيرة جدًّا في جيوب معزولة من ولاية نبراسكا، لا توجد فرص متاحة لمناهج المستوى المتقدم من الدراسة؛ كيف يتسنى لمدرسة تخرِّج عشرين طالبًا في السنة أن تقدم حساب التفاضل والتكامل أو الأدب الإنجليزي؟ وحتى إذا كانت هناك حفنة من المراهقين مستعدين لأن يأخذوا (الفردوس المفقود) في بيفر سيتي (Beaver City, NE) (التي يبلغ عدد سكانها 636)، هل سيكون هناك مدرِّس في المدينة لديه المعرفة ومؤهل بمستوى يكفي لتدريس هذا المنهج؟

ما فعلته المدرسة الثانوية للدراسة المستقلة (Independent Study High School) في سنة 1929م، هو تقديم المناهج الدراسية المتقدمة لطلاب المدارس الثانوية الذين حصلوا على درجاتهم العلمية عن طريق المراسلة، وهذا صحيح؛ فمواد التعلم والامتحانات ترسل

Digitized by Google

بالبريد من (المدرسة الثانوية للدراسة المستقلة) إلى الراعي (عادة ما يكون مدرسًا) في أي مدرسة ثانوية فيها طالب واحد أو أكثر مسجَّل في منهج دراسي معين، ثم تأخذ (المدرسة الثانوية للدراسة المستقلة) الواجبات والامتحانات التي ترد إليها لتصحيحها وتقدير الدرجات المناسبة، وعندما يجتاز الطلاب الامتحان يحصلون على نتيجة المدرسة الثانوية، وقد كان بإمكانهم في عام 1929م أن يحصلوا على دبلوم المدرسة الثانوية من (المدرسة الثانوية للدراسة المستقلة) حتى دون أن تطأ أقدامهم مبناها، وهذا مستمر حتى الوقت الحالي.

من الواضح أن التكنولوجيا مكنت (المدرسة الثانوية للدراسة المستقلة) من أن تطلق مناهجها الدراسية عبر الإنترنت انظر (http://www.highschool.un.edu)، فهي اليوم تخدم آلاف الطلاب من الولايات الخمسين ذات الـ (135) جنسية؛ فهي مدرسة ثانوية معتمدة، وشهادتها معترف بها في الجامعات كلها؛ فالطلاب لا يحصلون فقط على تدريس المناهج، وإنما يحصلون أيضًا على النصائح الأكاديمية. والهيكلية الطلابية في الفصول الدراسية متنوعة ومتباينة جدًّا؛ فهي تضم رياضيين من أنحاء العالم كافة، وممثلين لا تسمح لهم التزماتهم بالدوام في المدارس الثانوية المحلية على أساس التفرغ الكامل.

ربما كانت (المدرسة الثانوية للدراسة المستقلة) فكرة مبتكرة عام 1929م، لكنها اليوم واحدة من (150) أكاديمية تقدم التعليم الافتراضي في أنحاء الدولة جميعها، وفي الحقيقة كل ولاية على الأقل فيها أكاديمية للتعليم الافتراضي- مثل ألاباما - والولايات الأكثر سكانًا مثل أوهايو وكاليفورنيا، حيث تجد فيها أكثر من ثلاثين أكاديمية للتعليم الافتراضي داخل حدودها (من الصعب تقديم عدد دقيق لعدد أكاديميات التعليم الافتراضي؛ لأن هناك مدارس جديدة دومًا). وبعض مدارس التعليم الافتراضي تمول بموازنات المدارس العامة؛ لهذا السبب الدولارات التي قد تذهب للمدرسة الابتدائية في أسفل عمارتك، تتحول اليوم إلى خزانة التعليم الافتراضي، وثمة أكاديميات تعنى بالتعليم الافتراضي يكون

Digitized by Google

هدفها الربح، وقد تُمول أو لا تُمول من الأموال العامة (قرار تشريعي متَّخَذ على مستوى الولاية).

أكبر تكتل لمجموعة أكاديميات التعليم الافتراضي الهادفة للربح تسمى (K–12)، وهي شركة تجارية عامة تدير المدارس في كثير من الولايات، وإحدى المدارس التي تديرها (K–12)، هي أكاديمية أجورا التي سجل فيها (8800) طالب في العام الدراسي 2010 2011 –م، حيث تتلقى عن كل طالب ما بين (5500) إلى (6000) دولار من المال العام سنويًّا (Saul, 2011). وهذا الإنفاق الغزير من الميزانيات المتوافرة، قد يجعلك تعتقد أن الإنجاز سيكون عاليًا، أليس ذلك صحيحًا؟ حسنًا، بتحليل شامل لنتائج امتحان أكاديمية أجورا (Saul, 2011)، يقول التقرير: إن ثلث الطلاب البالغ عددهم (8800) فقط قد وصلوا إلى معدل التقدم السنوي (Annual Yearly Progress)، وهو معدل مفروض فيدراليًّا يستخدم في تحديد ما إذا كان الطالب يتعلم الكمَّ المتوقع تعلمه في الزمن المحدد للسنة الدراسية.

قد تتخيل، أنك لن تلاقي صعوبة في نقد أكاديميات التعليم الافتراضي، بخاصة تلك التي تهدف إلى الربح،و بالإضافة إلى المعدل المنخفض لنجاح الطلاب الذي يعد غير شائع في أكاديميات التعليم الافتراضي، فيوجد (معدل حركة) ضخم (عدد الطلاب الذين ينسحبون سنويًّا)، توجد اتهامات بأن المدرسين يعملون أكثر من اللازم مع عدد الطلاب الزائد (ولا يتلقون الأجور اللائقة). وما زالت هناك اتهامات أكثر بأنه يكون من المستحيل- أحيانًا- تحديد ما إذا كان الطالب الافتراضي يؤدي عمله الفعلي أم لا. وأيضًا، إذا كانت أكاديمية للتعليم الافتراضي تقبل أي تمويلات عامة، فليس لديها الخيار في قبول طالب ما، وإذا كان الطالب ليس لديه الدافع الشخصي، والوالد ليس على استعداد لأن يمضي وقتًا طويلًا في هذا التعليم الافتراضي، فإن الرغبة في النجاح تكون قليلة.

غير أن أنصار التعليم الافتراضي سيشيرون إلى المرونة المتاحة للطلاب الذين لديهم الدافع الشخصي، وهو سبب كافٍ لتأييد مثل هذا النوع من التعليم. فإذا كان لديك طالب

Digitized by Google

موهوب يستطيع أن يستوعب المناهج الدراسية بسرعة وبدقة، فإن معاهد التعليم الافتراضي ستساعده على التقدم بالسرعة نفسها، وفي كثير من المدارس الثانوية الافتراضية، مثل ثانوية ستانفورد التي تعمل عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وجامعة ميسوري، والمدارس الثانوية لجامعة أوكلاهوما، فإن الطلاب يستطيعون أن يسجلوا تسجيلًا مزدوجًا في المدرسة الثانوية وفصول الكلية بمنهج دراسي افتراضي واحد، يمنح اعتمادية تؤهله لدبلوم المدرسة الثانوية والدرجة الجامعية، وهناك شيء آخر يمكن أخذه في الحسبان: إذا كان معهدك الافتراضي لا يموله المال العام، فالتكاليف قد تكون باهظة؛ على سبيل المثال: كانت الرسوم السنوية في مدرسة ستانفورد الثانوية عن طريق الشبكة العنكبوتية (16600) دولار سنويًّا عام 2014م، أما التسجيل بدوام جزئي (وصولًا إلى ثلاثة مناهج دراسية) فإنه يكلف (10300) دولار، ومن الحصافة أن يسأل أحدنا إذا كان شعار (ستانفورد) على شهادتك يستحق هذه المصاريف السنوية، إذا كانت هناك خيارات أخرى أقل تكلفة في المتناول.

أفضل مرشح لأكاديميات التعليم الافتراضي هو الشخص الذي يمتلك دافعًا ذاتيًّا، والذي لا يحتاج إلى التحفيز الدائم ليتقدم في دروسه. ألا تأخذ الطبيعة البشرية الطريق الأقل صعوبة، حينما تستطيع؟ هذا الموقف لا ينطبق على المدرسة النمطية، لكن سيكون مشوهًا أكاديميًّا في مدرسة افتراضية، أضف إلى ذلك أن أولياء الأمور بحاجة إلى أن يتأكدوا من أن أكاديمية التعليم الافتراضي التي يفكرون فيها لطفلهم معتمَدة محليًّا أو عالميًّا، وهذا ضروري لا سيما في مرحلة للتعليم الثانوي، حيث إن طفلك لا يريد أن يُمنح دبلومًا غير معترف به في الكلية التي اختارها. بالإضافة إلى أنك إذا أخذت الطلاب الموهوبين في الحسبان، فعليك أن تتأكد أن أكاديمية التعليم الافتراضي التي تبحث عنها فيها اختيارات المقررات المتقدمة (Advanced Placement)، وأن المدرسين مؤهلون لتدريس هذه المناهج، وأن مستوى الفصول في الكلية هو ما بعد (المستوى المتقدم)، وهناك مجموعة متنوعة من الاختيارات من موضوعات أكثر خصوصية، مثل اللاتيني أو علوم الطيران أو الصحافة. إنه التعليم الافتراضي الذي لا يختلف كثيرًا عن السوق التي يباع فيها ويشترى.

Digitized by Google

أحدث طريقة في التعليم الافتراضي تسمى Massive Open Online Course) (MOOC، وهو منهج تعليمي شامل مفتوح يعتمد على الشبكة، ويسمى (edx)، يقدم مناهج دراسية من جامعات متميزة إلى منتسبيه في أنحاء العالم كلها بالإضافة إلى أنه مجاني، وقد أطلقت جامعة هارفارد هذا البرنامج عام 2012 مجانًا وكذلك معهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا MIT، حيث يستضيف برنامج edx مناهج دراسية ضخمة مفتوحة عبر الشبكة (MOOC) من هاتين الجامعتين، بالإضافة إلى جامعة جورج تاون، ويلسلي كوليدج، وجامعة تكساس، وجامعة كاليفورنيا، بيركلي. وقد ضمَّ في وقت سابق (500000) مستخدم من أنحاء العالم جميعها، أما المنافس لبرنامج (MOOC) فهو كورسيرا الذي يستقبل فصولًا من جامعات أخرى، مثل جامعة جونز هوبكنز، وجامعتي ماريلاند وفيرجينيا، وأكثر من ثلاثين من المعاهد التعليمية العليا الأخرى، ويُعدُّ كورسيرا أكبر من edx وله أكثر من مليونَيْ مشارك، أما الأشخاص الذين يديرون edx وكورسيرا فيُختارون بعناية في الأماكن التي يقبلون العمل بها؛ مئات الجامعات تتقدم بطلبات للاشتراك، لكن يُنتقى قليل منها.

ومع الموك تختار كل جامعة المناهج الدراسية في المجالات التي ترى فيها قوتها؛ على سبيل المثال: جامعة جورج تاون تقدم لموك مناهج في العلاقات الدولية والقانون والسياسة العامة، وحتى الآن لا تمنح أي جامعة درجة علمية أكاديمية عن طريق الحصول على الموك، على الرغم من أن الناس في برنامج (edx) غير الهادف للربح، وكورسيرا الهادف للربح يعترفون بأنهم يبحثون عن موارد أرباح دون أن يتقاضوا رسومًا دراسية، حتى الآن الطلاب الذين يأخذون (MOOC) يتعلمون من أجل العلم! يا له من مبدأ!

توقع أن تسمع كثيرًا عن الموك في السنوات القادمة؛ فمن يدري؟ ربما يستطيع طفلك في يوم ما أن يحصل على درجة علمية من كلية في جامعة هارفارد، وجورج تاون في وقت واحد دون أن يذهب إلى أي منهما.

جون جناجي، وذاك المدرس الذي يلبس ربطة العنق صباح يوم السبت، يجب أن نفخر بما بدأ كل منهما به.

Digitized by Google

المقررات المتقدمة

إحدى العلامات التي تقاس بها المدارس الثانوية الناجحة هي عدد المقررات المتقدمة، وما النسبة المئوية لدرجات الطلاب التي ستكون كافية في امتحاناتهم الأخيرة، لكسب اعتماد الكلية لقاء الجهود التي بذلوها.

أفضل شيء يمكن أن يفعله أي شخص لعقل طفل موهوب هو أن يضعه (أو يضعها) في صحبة أطفال موهوبين آخرين، والطفل الذكي في أغلب الأحيان يفضل الاستقلال أكثر من أي شيء آخر، لكن بينما يكون امتلاكه لبعض الوقت مهمًا بالنسبة إليه، فقد يشعر بالابتعاد عن نظرائه الحاليين. والأطفال الموهوبون مثل النباتات التي تنمو بطريقة أفضل عندما تكون مجتمعة (لكن أجمل ما يمكن أن نصف به الأطفال الموهوبين هو أن نشبههم بالنبات !).

أَلِك بوجالاد - طفلة موهوبة سابقًا، وحاليًّا خريجة في كلية الشفاء، توينبورغ، أوهايو

بدأت فصول المناهج المتقدمة لتحديد المستوى في عام 1955م بعد دراسة ثلاث سنوات في مدارس ثانوية خاصة منتقاة، وأظهرت الكليات أن طلاب السنة الأخيرة في المرحلة الثانوية قادرون على التعامل مع مضمون مناهج الكلية، وطالما أنها تدار من قبل مجلس إدارة الكلية، فالمناهج المتقدمة لتحديد المستوى متوافرة اليوم في معظم المدارس الثانوية في أمريكا وفي (35) موضوعًا مختلفًا، بدءًا بتاريخ أمريكا (المادة الدراسية الأكثر تناولًا) إلى المواد التي تعد لفئة قليلة، مثل الإحصاء، والجغرافيا الإنسانية، والفن التشكيلي، والتصميم ثلاثي الأبعاد؛ كلما كانت المدرسة الثانوية أكبر، زادت المناهج المتقدمة لتحديد المستوى للطلاب.

المقررات المتقدمة مصممة لتقدم محتوى دراسيًّا أكثر دقة، وما يميزها أكثر أن من يُدرِّسها هم من أكثر المعلمين كفاءة في المدرسة. حجم الفصل يميل إلى الصغر أيضًا، والمشكلات المعرفية فيها أقل من المناهج التي لا تتناول مجال المقررات المتقدمة، وتصمم المناهج من قبل هيئة خبراء متخصصين في المادة، وأساتذة الكليات بالاختصاص المعني الذي جرت تغطيته في المناهج المتقدمة لتحديد المستوى. ويراعى في تصميم المقررات المتقدمة أن تكون واحدة بين المدارس؛ لأن لذلك أهمية حيوية في تماسك تكامل المقررات

Digitized by Google

المتقدمة، حيث يخضع الطلاب لاجتياز امتحانات المقررات المتقدمة لتحديد المستوى مطابقة مع معايير معينة في نهاية كل مادة درسية (حاليًّا كل امتحان يكلف 87 دولارًا) ليحدد ما إذا كانت النتيجة مناسبة لدخولهم الكلية أم لا. كل امتحان تقاس نتيجته بـ (5) درجات، ولا تقبل الجامعات الدرجتين 1 و2، من الممكن أن تؤهله الدرجتان 3 و4 وربما لا تؤهله، أما اختبار المناهج المتقدمة لتحديد المستوى فهي من (5)، وتؤهل الطالب غالبًا للالتحاق بالكلية؛ حيث إن قرابة (90 %) من معاهد التعليم العالي لها سياسات معينة فيما يتعلق بتقدير نتائج المقررات المتقدمة؛ لذلك هو برنامج تجده في كل مكان، وتشارك فيه سنويًّا ملايين عديدة من الطلاب.

يبدو البرنامج المتقدم -ظاهريًّا- متكاملًا بالنسبة إلى الطلاب الموهوبين، حيث الإنجاز العالي مهم بالنسبة إليهم، ومنهاج المرحلة الثانوية الذي هو موضع تحدٍ في مضمونه لا يقتصر على الطلبة الموهوبين، لكن احتمال حصولهم على قبول جامعي بينما هم في المرحلة الثانوية يظل مصدر إغراء لهم -وبخاصة لأولياء الأمور- الذين لا يريدون دفع رسوم طالما هناك إمكانية لدراسة أبنائهم في الكلية بدروس قليلة دفعت رسومها أصلاً من خلال ساعات المقررات المتقدمة، وطالما أن الهدف الأساسي من المقررات المتقدمة هو وضع الطلاب في المكان المناسب في فصول الكليات، على قاعدة المعرفة المتوافرة عندهم؛ فإنها بذلك تؤدي عملها. بالطبع، مع وجود بعض التحذيرات.

ففي كتاب صدر عام 2010م بعنوان المقررات المتقدمة: نظرة نقدية على البرنامج المتقدم (Advanced Placement: A Critical Examination of the Advanced Placement Program)، انتقد فيه كل من سادلر، سونيرت، تاي وكلو بفينستين المناهج المتقدمة لتحديد المستوى بوصفها (القوة المعاندة في التعليم الثانوي الأميركي). (ص3)؛ لأسباب عدة، هي:

أولاً: وجد الكتاب أن الطلاب الذين درسوا المقررات المتقدمة في العلوم وفشلوا في امتحان هذه المقررات، لم يكن أداؤهم في الكلية أفضل من الطلاب الذين لم يدرسوا المقررات المتقدمة مطلقًا. أيضًا أساتذة الكلية الذين يدرِّسون الطلاب مقررات الكلية

Digitized by Google

المتقدمة حيث يُستبعد الطلاب من دخول المواد الدراسية لحصولهم على (3) أو (4) نقاط في اختبارات المقررات المتقدمة، وتُكتب عنهم دائمًا تقارير تفيد بأن هؤلاء الطلاب غير جاهزين لاستيعاب مناهج الكلية الأكثر تقدمًا. ومن وجهة النظر التي ترى أن المقررات المتقدمة توفر الوقت والمال للطلاب بالكلية، فالنظرة النقدية لم تجد دليلًا على صحة هذا الادعاء؛ فالطلاب يبقون في الكلية المدة نفسها، وهم بهذا يأخذون فقط مناهج أخرى.

أشار مؤلفو كتاب **المقررات المتقدمة** إلى نقاط أخرى أيضًا (معظمها يتناول قضايا المساواة)، من بينها قضية يمكن أن تؤثر في تعليم الطلاب الموهوبين. ويؤكد الكتاب بصورة خاصة أن وجوب عدم وجود ضوابط في المدارس الثانوية لقبول الطلاب في المقررات المتقدمة، يعطي الفرصة لكل يرغب في التسجيل، (ويعطيه الحق) أيضًا. وإن بدا بهذا شيء من العدل، سيسأل أحدنا إن كانت قوة المنهاج وعمقه أو وتيرة التدريس يجب تخفيضها لتلائم متطلبات تعليم هؤلاء الطلاب غير المؤهلين لقسوة المناهج المتقدمة لتحديد المستوى، وحالة العدالة هذه لها تكاليفها الاقتصادية أيضًا؛ فعلى سبيل المثال: تقول دراسة نشرت عام 2006م في كاليفورنيا (Jaschik, 2010) بأن مبلغ مليونين وثماني مئة ألف دولار أمريكي صرفت من الميزانية الفيدرالية بوصفها مالية مقابل تكاليف امتحان المناهج المتقدمة لهؤلاء الذين لا يستطيعون دفع (87) دولارًا بوصفها رسومًا امتحانية، وقد رسب في الامتحان ما نسبته (41%) من الطلاب الذين خضعوا للامتحان وفشلوا في الحصول حتى على 3 نقاط؛ أي إن مليونًا ومئة ألف دولار أُنفقت على طلاب فشلوا تمامًا في تحقيق هدفهم.

باتريك ويلش (2009م) مدرس لغة إنجليزية في فيرجينيا، وناقد دائم لبرنامج المناهج المتقدمة حيث أطلق على المناهج المتقدمة، اسم (لعبة اللافتات والأرقام، وخدعة العلاقات العامة التي يستخدمها موظفو المدارس الذين يكدسون أكبر عدد ممكن من الطلاب في المناهج المتقدمة؛ لخلق الوهم بأنهم يرفعون المستوى الكلي للطلاب كلهم) (Para,2).

Digitized by Google

كان ويلش مقتنعًا بأن المقررات المتقدمة لا تزيد من عدد الطلاب ذوي الدخل المنخفض أو من الأقلية الذين يدخلون الكليات، مؤكدًا ما قاله النقاد الآخرون من أن غالبية الطلاب الذين يدرسون المقررات المتقدمة هم ملزمون بدراستها في الكلية، وانتقد ويلش أيضًا التناقض في المقررات المتقدمة بأن أخذ مثل هذه المقررات الدراسية يرفع المستوى الدراسي للطلاب في المدارس الثانوية التي تدرَّس فيها هذه المقررات، أو أنها تضيق الفجوة الحاصلة بين الطلاب البيض الأثرياء والطلاب الآخرين، والحل عنده بأن أسقط تسمية المقررات المتقدمة، وقدم وصفًا مفصلًا للمقرر الدراسي، والعبء الدراسي المطلوب من هؤلاء الذين يدرسونه، وعندها يمكن للطلاب الذين قبلوا التحدي أن يتقدموا لامتحانات المقررات المتقدمة؛ لتحديد المستوى في نهاية العام الدراسي (نعم، دراسة المقرر المتقدم لتحديد المستوى ليس شرطًا أساسيًّا لدخول امتحان هذه المقررات).

لقد أقدم بعض المدارس والمناطق التعليمية على عمل ذلك بالفعل؛ فعلى سبيل المثال: في حركة جريئة أغضبت معظم أولياء الأمور، أوقفت إدارة المدرسة في سكارسديل في نيويورك -مقاطعة غنية فيها مدارس رائعة وطلاب إنجازهم عالٍ- في عام 2008م كل المقررات المتقدمة لتحديد المستوى، واستبدلتها بمناهج أطلقت عليها اسم (موضوعات متقدمة Advanced Topics courses)، فكانت هذه المقررات الأكثر قسوة التي تقدمها مدرسة سكارسديل الثانوية، وتطرح تحليلًا عميقًا لمواد دراسية معينة بدلًا من النظام القائم على الحقيقة الذي غالبًا ما يرتبط بالمقررات المتقدمة، وقد قال مدير المدرسة مايكل ماك جيل- قبل تطبيق سبق هذا التغيير- إنه: «يريد أن يقوي الخريجين في مدرسته ليرتفعوا إلى مستوى تحديات القرن الواحد والعشرين». (Scharfenberg, 2007, p.1).

لا يزال خيار الموضوعات المتقدمة مطبّقًا في مدرسة سكارسديل، ولم تعد مخاوف أولياء الأمور بأن أبناءهم لن يستطيعوا الالتحاق بالكليات والجامعات المختار مبررة، حيث إن مناهج الموضوعات المتقدمة تجد توصيفها على وجه العموم في سجل المواد المقررة في المرحلة الثانوية، وأيضًا يشجع الطلاب لأخذ امتحانات المناهج المتقدمة في شهر مايو

Digitized by Google

مـن كل عـام. وقـد حصل أكثر من (96 %) من الطلاب الذيـن فعلوا ذلك على درجات عالية في المناهج المتقدمة (AP) في العام الدراسي 2011 – 2010م، تسمح لهم بدخول الكليات.

هـذا النقـد الضمني للمناهج المتقدمـة المترافق مع مجموعة مبينة على الاسـتقصاء للدروس المتقدمـة بوصفهـا بديـلًا، قـد يكـون النمـوذج الذي ترغـب المدارس الأخرى في تطبيقـه على أنـه طريقة لخدمة أكثر طلاب المرحلة الثانوية قدرة، وقد قامت مدرسـة هاي تـك هـاي (High Tech High) فـي سـان دياجو ومدرسـة كرانبـرو كينجزوود في ميتشـيغان (ومدارس أخرى) بتطبيق ذلك بالفعل.

وعلـى الرغـم من هذه الاسـتثناءات، والنقد السـليم الذي وجه إلـى المناهج المتقدمة لتحديـد المسـتوى، فـإن أي شـخص يعمـل فـي التعليـم الثانـوي اليـوم يراهن ضـد المناهج المتقدمة (AP)؛ لأنه يفقد بريقه وتتناقص شعبيته فعليًّا، وفي الحقيقة إذا استمرت الأرقام الحالية، فإن (25%) من طلاب التعليم الثانوي الذين تقدموا على الأقل مرة واحدة لامتحان المناهـج المتقدمـة لتحديد المسـتوى في عـام 2010م، قد يحققون نتائج أعلى في السـنوات المقبلة.

والخلاصة، حينما تدرَّس المقررات المتقدمة من قبل معلمين أكفياء، ويكون الطلاب المسـجلون محاطين على الأقل بزملاء الفصل في المسـتوى نفسه، وراغبين في التعلم، فإن اسـتفادتهم تكون كبيرة، لكن بالنسـبة إلى الطلاب الذين يفضلون نوعًا آخر من الدقَّة، تلك التي تقدم نظرة أوسع وأكثر تحليلية في التعليم عمومًا، فإن البديل (الموضوعات المتقدمة) لا يـزال أكثـر إغـراءً. أو الأفضـل مـن ذلك، هـؤلاء الطـلاب الفضوليون قد يفضلـون الخيار الأشمل، الذي قد يكون الأنسب لهم: برنامج البكالوريا الدولية.

برنامج البكالوريا الدولية (IB)

أحيانًـا يخـرج أفضل الفكر من الكفاح، كما في حالة برنامـج البكالوريا الدولية تمامًا؛ فبعـد الحـرب العالميـة الثانية كلفت منظمة اليونسـكو سـيدة تدعى ماري تيريـز موريت بأن تكتـب كتيبًـا عن الكيفية التي يمكن للمعلمين بها أن يسـاعدوا طلابهـم ليصبحوا أكثر دراية

Digitized by Google

على مستوى العالم، وأكثر وعيًا على الصعيد الاجتماعي، وكتابها الذي صدر عام 1948م بعنوان هل توجد طريقة لتعليم السلام؟ كان أصل الحركة التي استمرت حتى اليوم؛ برنامج دبلوم البكالوريا الدولية.

استغرق عمل موريت أكثر من عقد حتى شقَّ طريقه إلى المدارس المنتشرة بوساطة البكالوريا الدولية، حينما قرر عدد من المدرسين في مدرسة جنيف الدولية أن يخططوا برنامجًا دراسيًّا يدرسه الطلاب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 16 و19، والذين غالبًا ما تتنقل أسرهم، فكان برنامج الدبلوم يحقق لهم هذا الهدف، إذ إنه يقدم مؤهلًا عالميًّا لدخول الجامعة للعدد الكبير من الطلاب الذين كان آباؤهم من دبلوماسيي العالم، أو ممن يعملون في منظمات دولية ومتعددة الجنسيات، بادئين أساسًا بتصميم منهج دراسيٍّ يكون هو نفسه في المدارس الدولية أينما كان موقعهم؛ من أستراليا حتى زانزيبار- يستطيع بوساطته الطلاب الذين يغيرون المدارس على نحو دائم أن يحصِّلوا- من الناحية الأكاديمية- ما فاتهم في المدرسة السابقة. بدأت هذه المناهج الدراسية والامتحانات ذات المعايير العالمية في أوروبا (كان مقر البكالوريا الدولية في جنيف - سويسرا منذ عام 1968م)، وانتقل إلى الولايات المتحدة منذ عام 1975.

منذ البداية، ركَّز برنامج دبلوم البكالوريا الدولية على طلاب المرحلة الثانوية، وفي منتصف التسعينيات بدأ ببرنامج للسنوات المتوسطة (MYP)، تبعه في سنة 1996م برنامج السنوات الابتدائية (PYP)، ويضم برنامج دبلوم البكالوريا الدولية اليوم أطفالًا من (146) دولة في المرحلة العمرية ما بين (3 و19) سنة في كل من المدارس المستقلة والعامة.

وعلى الرغم من أن برنامج البكالوريا الدولية لا يمكن أن يُفسر على أنه برنامج للموهوبين، فإن العناصر المكونة لمناهجه وأنواع الامتحانات المطلوب من الطلاب أداؤها يجعلها برنامجًا مناسبًا جدًّا للأطفال ذوي الذكاء المرتفع، دعونا نفكر مليًّا في نقاط الجودة في البكالوريا الدولية.

الأساس التربوي لبرنامج دبلوم البكالوريا الدولية لطلاب المدارس الثانوية يُسمى (Theory of Knowledge) أو (نظرية المعرفة)، وهو منهج دراسي إجباري يعرف الطلاب

Digitized by Google

على الطرق المختلفة التي يمكن أن يتعلم بها الناس - عن طريق حواسهم، وتفكيرهم، وإدراكهم وعاطفتهم، وهذه الطرق المختلفة للتعلم ستكشف من المواد المتشابهة الموجودة في معظم المدارس الثانوية- العلوم الطبيعية والإنسانية، والرياضيات، والفنون، واللغات، والأخلاق. والخبرة القصوى هي (المقال المطول)، وهو ورقة بحثية مستقلة ينجزها الطالب بنفسه، وتبلغ نحو (4000) كلمة، وهذا المقال يجب أن يؤكد إيصال المعلومات و/أو تقديم مناقشة تستخدم التحليل والتركيب والتقويم في تكوينها، ويختار الطلاب بأنفسهم موضوعًا في أي من المجالات العامة الثمانية؛ الإنجليزية، واللغة الأجنبية، والتاريخ، والأعمال، والعلوم، والأفلام... إلخ. ويساعدهم طوال العمل مشرف (غالبًا ما يكون مدرسًا في مدرسة الطالب)، ومن المنتظر أن يعمل الطالب من (40 إلى 50) ساعة عمل تقريبًا لإنجاز المقال المطوَّل. وفي خاتمته يُقوَّم المقال عن طريق ممثلين لدبلوم البكالوريا الدولية بمقياس درجات من صفر إلى (36)، يحكمون على كل شيء، من صحة سؤال البحث إلى وسائل تحليل السؤال، إلى العرض النهائي لتقديم الورقة. لقد ركزت بعض المقالات المطولة حديثًا في مجال التاريخ على موضوعات متباينة، مثل (غاندي في جنوب أفريقيا) إلى (عبقرية لينين) إلى (المرأة في الستينيات)، أما الهدف النهائي للمقال المطول فهو تجهيز الطلاب للبحث الذي ربما يقومون به عندما يلتحقون بالجامعات.

وفي سنة 2012م أضافت البكالوريا الدولية مكونًا جديدًا إلى برنامجها (شهادة تتعلق بالمهنة)، وهي تفتح مجال المشاركة للطلاب في المرحلة العمرية من 16 إلى 19 سنة، المنشغلين بالتعلم الذي ينتج منه موقف إيجابي في الحياة المستقبلية؛ فالكفايات المهنية تؤكد ذلك والتعلم مدى الحياة يؤكده.

يستخدم برنامج السنوات المتوسطة الموضوعات الأساسية الثمانية نفسها، على أنها نظيرة لمواد المدرسة الثانوية، مؤكدًا التعلم الكلي (الشمولي) والوعي التثاقفي، ويتضمن المنهج في طياته فكرًا؛ مثل: المجتمع والخدمة، والبراعة الإنسانية، والثقافة الصحية والاجتماعية، وأساليب تتعلق بالتعلم، أما تتويج المشروع فينتهي بالمرحلة المتوسطة

Digitized by Google

(MYP)، ويعمل بوصفه نقطة انطلاق للطلاب الذين يتجهون إلى برنامج دبلوم في المدرسة الثانوية.

وأخيرًا يستخدم برنامج المرحلة الابتدائية ستة موضوعات تتجاوز حدود المنهاج لجذب الطلاب الصغار إلى التفكير الكبير: من نحن؟ كيف نعبر عن أنفسنا؟ كيف ننظم أنفسنا؟ أين نحن في المكان والزمان؟ كيف يعمل العالم؟ تقاسم الكوكب، تحت هذه الأصناف المختلفة من الموضوعات، من الصعب أن نتخيل أي شيء أقل من التدريس والتعلم المتكامل، وهو شيء حتى الأطفال الصغار الموهوبون يريدونه عندما يسألون أسئلة في المدرسة، مثل: متى يمكن أن أحتاج إلى ذلك؟ في عروض برنامج البكالوريا الدولية، بدءًا ببرنامج المرحلة الابتدائية وحتى برنامج الدبلوم، يُجاب عن هذا السؤال الجوهري مرة بعد مرة.

ويلاحظ بيان مهمة البكالوريا الدولية أن البكالوريا الدولية مصممة لتنمية روح التساؤل والمعرفة والاهتمام لدى الشباب؛ لخلق عالم أفضل وأكثر هدوءًا من خلال احترام التداخل الثقافي (IB, n.d., para. 5) وفهمه، ويمكنك أن تتخيل أن لهذا التركيز العالمي نقاده، واتهمه بعضهم بأنه ماركسي، أجنبي، داعٍ إلى العولمة وضد أمريكا؛ فعلى سبيل المثال صوتت مارغريت دايتون عضو مجلس الشيوخ عن ولاية يوتا في سنة 2008م لصالح تخفيض ثلثي ميزانية دبلوم البكالوريا الدولية، وكتبت: «أنا لا أريد أن أخلق (مواطنين عالميين) بقدر ما أريد أن أسعد بتثقيف المواطنين الأمريكيين الذين يؤدون دورهم جيدًا في العالم.... برنامج البكالوريا الدولية يعلِّم فلسفة شكوكية مستقلة عن فلسفة المواطنة العالمية.. هو برنامج لا يتحكم فيه الأمريكيون». (ص1).

ناقد آخر؛ ليزا ماكلوغلين التي تدير موقعًا إلكترونيًّا عنوانه (Iruthaboutib)، تتناول القضية من ناحية التكلفة العالية لبدء تشغيل برنامج البكالوريا الدولية. في الحقيقة بين رسوم تطبيق برنامج البكالوريا الدولية ورسوم تدريب المدرس (مدرسو برنامج البكالوريا الدولية كلهم يحتاجون إلى تدريب متخصص، على عكس مدرسي المناهج المتقدمة لتحديد المستوى، وتكاليف تقويم الموقع الذي قامت به دائرة الموظفين المعنيين بالبكالوريا

Digitized by Google

الدولية وصلت إلى قرابة (50000) دولار لتنفيذ البرنامج، غير أن جاي ماثيوز - الكاتب المتخصص في التعليم في صحيفة (واشنطن بوست) المناصر لكل من المناهج المتقدمة لتحديد المستوى والبكالوريا الدولية، يجد أن البكالوريا الدولية أفضل من المناهج المتقدمة لتحديد المستوى؛ لأنه تعليم موسع أكثر شمولية في موضوعاته، ويقدم مناهج متكاملة على حد سواء.

عندما يفكر في تكلفة (56000) دولار التي تنفقها مدرسته المحلية لتنفيذ البكالوريا الدولية، يرى ماثيوز أن هذه هي التكلفة نفسها التي تُدفع لتشغيل فريقي البيسبول والسوفت بول في المدرسة الثانوية، فكتب: «بقدر عشقي لهذه الرياضات التي يلعبها أطفالي، أعتقد أن البكالوريا الدولية أكثر أهمية». (Mathews, 2010, para. 19)

النقد الأخير والمهم هو أن كثيرًا من الكليات والجامعات غير متأكدة مما ستفعله عندما يتقدم طالب للجامعة ومعه دبلوم البكالوريا الدولية، ما الموضوع الذي درسوا فيه وحصلوا فيه على نقاط؟ بالمناهج المتقدمة لتحديد المستوى يمكن أن نتجنب المناهج الدراسية غير المترابطة، بربط التاريخ الأمريكي في المناهج المتقدمة لتحديد المستوى بمنهاج الكلية لطلاب السنة الأولى الذي يحمل الاسم نفسه، وهذا الربط المباشر في البكالوريا الدولية غير واضح، وعندما يحدث ذلك سيكون لزامًا على الخريج المقبل في مستوى البكالوريا الدولية أن يلتقي مع موظفي القبول الجامعي والأساتذة؛ ليتأكد أنه وضع في المواد التي تناسبه، لا سيما في وقت باكر من الدراسة الجامعية.

وعلى الرغم من هذه الآراء الناقدة كلها فإن البكالوريا الدولية (من وجهة نظري المتحيزة) تنطوي على عدد من الأشياء الجيدة التي تُقدَّم لكثير من الطلاب، لا سيما الموهوبين؛ فأطفالنا الموهوبون هم الذين يفكرون عالميًّا بطبيعتهم، إذ إنهم يزاوجون الفكر المتباينة (المتفاوتة)، ويستطيعون أن يروا العلاقات بين الأدب، والتاريخ، والموسيقى، ومثل هذا التكامل والتداخل في الموضوع متوقَّع في البكالوريا الدولية، ويُحترم.

Digitized by Google

التعليم المنزلي للأطفال الموهوبين

كان التعليم العام العالمي في أمريكا اختراع منتصف القرن التاسع عشر، فقد كان التعليم الرسمي في المدارس قبل ذلك مقتصرًا على هؤلاء الذي يتحملون دفع نفقات تدريس أبنائهم وتعليمهم، وبالنسبة إلى العامة كان تعليمهم محدودًا في المضمون، والعمق، والمدة، ويطلق عليه التعليم المنزلي الافتراضي.

لذلك، عندما أصبحت حركة التعليم المنزلي منتشرة على نحو متزايد في ثمانينيات القرن الماضي، أدهش ردُّ الفعل المجتمعي كثيرين؛ لماذا يتخلى أولياء الأمور بإرادتهم عن الحق المكتسب بأن يتلقى أبناؤهم التعليم العام مجانًا وبدلًا من ذلك يتعلمون في بيوتهم؟ هل هؤلاء أولياء الأمور هم الذين عاشوا على هوامش المجتمع، ويأملون أن يغرسوا في أطفالهم مجموعة من الأخلاقيات أو المعتقدات الدينية التي تجلب التطرف أو الفوضى إلى بلدنا؟

حسنًا، ربما حفنة قليلة جدًّا من أولياء الأمور هم الذين يشجعون التعليم المنزلي، وهدفهم الأساسي هو الفوضى، ولكن بالنسبة إلى الأغلبية، فإن الأسباب تكمن في واحدة من النقاط الثلاث:

أ. الرغبة في تعليم أبنائهم في مناخ يساعد على التعلم أكثر من التركيز على تأديب الطالب.

ب. الرغبة في تضمين التعاليم الدينية والأخلاقية ضمن الذخيرة التعليمية لأبنائهم.

ج. الاعتقاد بأن المناهج المدرسية بالغة الصعوبة أو بالغة السهولة تترك الطفل وهو يعاني مللًا أو شعورًا بعدم الرضا. هنا بهذا المخيم الثالث يعسكر الأطفال الموهوبون في تعليمهم المنزلي.

وجدت كاثي كرين المتخصصة البارزة في تعليم الأطفال الموهوبين، وهي ذات تركيز يشبه الليزر على تحقيق احتياجات الأطفال ذوي الذكاء الحاد، أنه «على الرغم من أن بعض آباء الأطفال الموهوبين يعلِّمونهم في البيت نتيجة عدم رضاهم عما تقدمه المدارس العامة، فإن كثيرين غيرهم يفعلون ذلك من وجهة نظر أكثر إيجابية؛ التعليم المنزلي

Digitized by Google

يسمح ببرنامج تعليمي نموذجي لطفل عالي الموهبة لينمو لدى تقديم الحد الأقصى له من المرونة». (Kearney, 1992, p.16)، كاثرين فين التي لم ترَ في البداية أطفالها موهوبين، وإنما رأت فيهم الاختلاف فقط، أدخلتهم عالم التعليم المنزلي؛ لأن الآخرين كانوا في حياتها - الأطباء وبعض المدرسين، الجيران - الذين ساعدوها على أن ترى أن تصرفات أطفالها وردود أفعالهم للتعلم كانت ردود أفعال طبيعية لنوبة غير طبيعية، حيث كتبت فين (2007م): «صفات الموهوب جعلت بعض الأشياء التي كنا نعيش بها مفهومة أكثر، وأعطتني تصريحًا لعمل أشياء ما كنت لأخذها في حسباني لولا ذلك» (ص 182).

وعلى الرغم من أن كثيرًا من آباء الأطفال الموهوبين يحبون أن يستقلوا بتوجيه عقول أطفالهم في الاتجاه الذي يحمل معنى بالنسبة إليهم شخصيًّا، فقد كتب بيفيرلي هيرناندز (2012) عن بعض الحقائق القاسية التي نواجهها عند اتخاذ القرار بالتعليم المنزلي:

- هل لديك المزاج - بوصفك أبًا - لأن تكون معلم طفلك؟
- هل لديك الوقت والقدرة المالية - بوصفك أبًا - للقيام بالتعليم المنزلي؟
- إذا كان الوالدان موجودين في المنزل، هل يوافق كلاهما على أن التعليم المنزلي هو الخيار الجيد؟
- هل يعتقد طفلك أن التعليم المنزلي له قيمة؟

هذه الأسئلة يفترض أن تطرح على أي أب يرغب في التعليم المنزلي لابنه، السؤال الذي يليه يوجه تحديدًا لآباء الأطفال الموهوبين:

- هل لدي من الذكاء ما يكفي لكي أعلِّم طفلي الموهوب؟

أجل، عامل التخويف الفكري! بالتأكيد معظم أولياء الأمور والأمهات يتقنون جيدًا قوائم التهجئة والجمع البسيط، لكن ماذا سيحدث عندما تكون اهتمامات طفلك ومواطن قوته في موضوعات أنت لا تعرف شيئًا عنها؟ فين (2007م) لديها إجابة عن ذلك: انظر إلى نفسك ليس بوصفك عضوًا في هيئة التدريس، وإنما على أنك عضو في إدارة المدرسة التي يتلقى فيها طفلك تعليمه المنزلي، الآخرون حولك - أساتذة الكلية، العاملون في المكتبة، أفراد من المجتمع، قادة الكشافة، شيوخ الكنيسة، وآباء آخرون من التعليم المنزلي-

Digitized by Google

سيكونون المعلمين الجدد لطفلك، يشوشون حياتهم مع ظهور الحاجات. وليس مستغربًا أيضًا (وخصوصًا في مرحلة المراهقة) أن يلتحق بعض الأطفال في التعليم المنزلي بمدرسة (منتظمة) على قاعدة الدوام الجزئي - إما مدرستهم الثانوية المحلية، وإما كلية المجتمع أو المدرسة الثانوية الافتراضية. جميعنا لنا قيودنا وحديثنا الفكري الخاص بنا، لكن كونك تخاف من تدريس عقل طفلك، فيجب ألاَّ يكبت رغبتك في أن تجرِّب؛ يمكن أن يكون التعليم المنزلي أفضل مما تفكر.

من المؤكد أن التعليم المنزلي له منتقدوه، بما في ذلك جمعية التعليم الوطنية (NEA) التي أصدرت قرارًا في عام 1988م ضد التعليم المنزلي، مكررة موقفها في عام 2011م بالقرار (ب-82) الذي ينص في جزء منه على أن: «الجمعية الوطنية للتعليم تعتقد أن برامج التعليم المنزلي التي تعتمد على اختيار أولياء الأمور لا تستطيع أن تمد الطالب بخبرة تعليمية شاملة». (Illinois Review, 2011, p.1). بالتأكيد هذه كلمات حاسمة للمدافعين عن التعليم المنزلي الذين يعتقدون أن العمل الفردي الكبير الذي تقوم به الجمعية الوطنية للتعليم لا يمكن أن يُطبَّق على الأطفال جميعهم بالتساوي، ومع ذلك تجاوزت مسيرة التعليم المنزلي الجمعية الوطنية للتعليم؛ إذ يفترض أن تجد اليوم لكل ولاية قواعدها الخاصة، ولوائحها التي تتعلق بممارسة التعليم المنزلي؛ وتطلب بعض الولايات امتحانات إنجاز سنوية للمتعلمين في المنازل، وأخرى لا تطلب ذلك، وتطالب بعض الولايات أولياء الأمور بتقديم خططهم التعليمية لأبنائهم الذين يتعلمون في المنازل، وأخرى لا تفعل ذلك.

وعلى الرغم من ذلك يبقى شيء واحد مؤكدًا: الخريجون في التعليم المنزلي يحضرون اليوم في أكثر من (900) مؤسسة للتعليم العالي، وهذا الميل تجاه استقلال الطالب/ الوالد لن يُنحَّى جانبًا في القريب العاجل، ومع ظهور عدد من المدارس الافتراضية على الشبكة العنكبوتية أكثر من أي وقت مضى، فإن مجموعة من خيارات التعليم المنزلي ستزداد بالتأكيد في السنوات المقبلة.

Digitized by Google

وفي النهاية

منذ أن دخلتُ مجال تعليم الطفل الموهوب في عام 1978م، كنت دومًا مندهشًا من اتساعه وكثرة أذرعه؛ فليس المدافعون عن الموهوبين فقط هم المهتمين بما يحدث في برامج الموهوبين، لكنهم أيضًا يعون جيدًا أنه ليس كل مدرس فصل منتظم يعرف كيف يعمل بطريقة مؤثرة مع الطلاب الموهوبين، بالإضافة إلى ملاءمة الخيارات التي يجب أن تفيد الأطفال الموهوبين، بحيث لا تكون عقبة كبيرة لمعلمي الطفل الموهوب؛ فعلى سبيل المثال، المناهج المتقدمة لتحديد المستوى وبرامج البكالوريا الدولية هي محط اهتمام أولياء الأمور والمعلمين؛ فالصحة الاجتماعية والعاطفية للطلاب الموهوبين التي تتجاوز الاهتمامات النمطية في هذه المجالات لأي طفل، هي بُعد آخر يحتل جزءًا كبيرًا من الاهتمام. عندما تذكر الإحصاءات أعداد المتسربين من المرحلة الثانوية الذين كانوا موهوبين.. أو عدد المنتحرين بين الشباب الموهوبين،... أو النتائج المرعبة للتشريحات النفسية التي تبين أن كثيرًا من الأذكياء هم من أسوأ القتلة المجرمين في دولتنا سواء في كولومبين، أو نيوتاون، أو أورورا وأماكن أخرى، التي ستبقى إلى الأبد محفورة في ذاكرتنا ما إن يذكر اسم المدينة أو المدرسة.

الاحتياجات لا تتوقف هناك، يجب أن يفكر أحدنا أيضًا في موضوع الإرشاد للحياة العملية للمراهقين الموهوبين القادرين على (والمولعين بكثير من) المهن، وهل يلائمه التعجيل سواءً كان الطفل في الرابعة من عمره في مرحلة رياض الأطفال، أم في الخامسة عشرة من عمره عند دخوله الكلية، والقضايا الاجتماعية التي تظهر عندما يفكر أحدنا إن كان على الأطفال الموهوبين ونتيجة لقدراتهم الكبيرة، أن يديروا ظهورهم للمجتمع أكثر من الشخص ذي الذكاء المتوسط.

وصفتُ تعليم طفل موهوب في سنة 1978م- بسذاجة- بأنه كالأخطبوط؛ له عدد محدود من الأذرع التي تمتد خارج المناطق الأخرى، أما اليوم وبعد أكثر من جيل، فأجد نعتًا أكثر ملاءمة لذلك، وهو دودة أم الأربعة والأربعين؛ نعم إنه ذلك المجال الواسع.

Digitized by Google

كما شرحنا في هذا الفصل. تاريخ مجالنا المعرفي هو تراث يعود لقرون عديدة، وليس لعقود، حتى وإن كانت كلمة موهوب غير مستخدَمة قبل مطلع القرن العشرين لتصف الأطفال الأكثر قدرة في هذا العالم، إلا أن هناك إعجابًا بأصحاب الفكر المتقد منذ بدء البشرية، وعلى الرغم من أن النقاد الذين يرون أن تعليم الطفل الموهوب -في أحسن الأحوال- شيء زائد أو غير ضروري وغير ديمقراطي في أسوأ الأحوال، فإن الأطفال والبالغين الذين تلقوا دعمًا تعليميًّا ونفسيًّا ملائمًا لإمكاناتهم يعرفون مدى التأثير الذي ينتج من مثل هذا الانتباه ويستمر مدى الحياة؛ إذ يوجد فرق بين أن نعيش حياة جيدة وأن نعيش حياة كاملة.

واليوم، إذا كنا نستطيع أن نلفت- على نحو إيجابي- انتباه أصحاب المصلحة من سياسيين ومثقفين من ذوي الشعور المختلف، فربما نستطيع أن نعكس الحرب الحالية التي تشن على أقدر شباب أمريكا.

Digitized by Google